صورةُ الإمامِ في الخطابِ الشِّعريِّ الإسماعيليِّ في العصرِ الفاطميِّ

The Image of the Imam in the Ismaili Poetic Discourse of the Fatimid Period

رائد مصطفى عبد الرحيم[1]

Raed Mustafa Abdelrahem[1]

10.15849/ZJJHSS.250330.10

الملخص

قامتِ الدَّولةُ الفاطميَّةُ الإسماعيليَّةُ في المغربِ سنةَ 296هـ، ثمَّ امتدّتْ إلى مصرَ سنةَ 358هـ، وتبعَها أجزاءٌ منْ بلادِ الشَّامِ، وغيرِها منَ المناطق. وكانتْ دولتُهُم مذهبيَّةً، تعتنقُ المذهبَ الإسماعيليّ، وراحَ أربابُه ومنظّروُه يشكّلونَ خطابَهُ ويطوّرونَهُ، ويستمدّونَ أُسُسَهُ منْ ثقافاتٍ متعدِّدَةٍ؛ حتّى تشكّلتْ رؤيتُهُم الفكريَّةُ له، وأضحى نظريَّةً متكاملةَ الأركانِ في الإمامِ والإمامةِ. وكانَ لهذا الفكرِ أصولُهُ ونتائجُهُ المهمَّةُ في قراءةِ النّصوصِ المختلفةِ، ومنها الشِّعريَّةِ، ولكن ليسَ هناكَ دراسةٌ علميَّةٌ شاملةٌ مستقلَّةٌ تناولتْ صورةَ الإمامِ في الخطابِ الإسماعيليّ؛ ومنْ هنا جاءَ هذا البحثُ ليتناوَلَ أصولَ هذا الخطابِ، وليقفَ على تجلّياتِهِ في شعرِ ثلاثةٍ منْ كبارِ شعراءِ الدَّولةِ الفاطميَّةِ الإسماعيليَّةِ، وهم تميمُ بنُ المعزِّ لدينِ الله الفاطميّ (ت374هـ)، وظافرٌ الحدَّادُ (ت529هـ)، وعمارةُ اليمنيُّ (ت569هـ)، ويبيّنَ أثرَ التَّأويلِ في خطابِهِم في الصّورةِ الّتي رسموها للإمامِ الإسماعيليّ. وتبين أنّ هؤلاء الشعراء صدروا من معين واحد، وهو الخطاب الإسماعيلي، فجاءت معانيهم متشابهة، وأفكارهم تكاد تكون موحدة، وأنّ الإمام الفاطمي هو محور هذا الخطاب الشعري لديهم. وأن المعاني التي قدّمها الخطاب الشعري عند هؤلاء الشعراء تركّز على علاقة الإمام بالله، وربطه بين عالمي اللاهوت والناسوت

كلمات مفتاحية: إسماعيليّ، إمام، صورة، الشّعر الفاطميّ.

Abstract

The Ismaili Fatimid state was established in Morocco in the year 296 AH, then it spread to Egypt in the year 358 AH, followed by parts of the Levant and other regions. Their state was doctrinal, it embraced the Ismaili doctrine, and its lords and ideologues began to shape and develop its discourse, and draw its foundations from multiple cultures, until their intellectual vision of it was formed, and it had an integrated theory of the imam and the imamate. This thought had its origins and important consequences in reading different texts, including poetry. This research deals with the origins of this discourse, then examines its manifestations in the poetry of three of the great poets of the Fatimid state of Ismailism, namely Tamim ibn al-Muizz Li Din Allah al-Fatimi, died in 374 AH, Thafer Al-Haddad, died in 259 AH, Ammara Alymene, died in 569 AH, and the effect of their discourse interpretation is evident in the portrayal of the Ismaili Imam.

Keywords: Ismaili, Imam, Image, Fatimid poetry.

[1] جامعة النجاح الوطنية، كلية العلوم الإنســـانية والتربوية، اللغة العربية وآدابها، أدب العصر الوسيط

* للمراسلة: rarrabeh@najah.edu

تاريخ استلام البحث: 2024/07/17

تاريخ قبول البحث: 2025/01/19

[1] **An-Najah National University, Faculty Of Humanities and Educational Sciences, Department of Arabic Language and Literature, Medieval Ages Literature**

***Corresponding author:** rarrabeh@najah.edu

Received: 17/07/2024

Accepted: 19/01/2025

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمّد، صلّى الله عليه وسلّم وبعد،

فقد تأسست الدّولة الفاطمية في المغرب سنة 296هـ، ثم انتقلت عاصمة حكمها إلى مصر سنة 358هـ، وامتد نفوذها إلى أجزاء من الشام، والحجاز، واليمن، وغيرها. واستمرت هذه الدولة قائمة حتى زال حكمها سنة 567هـ. وفي أثناء ذلك، حرص حكّامها على نشر أفكارهم الإسماعيلية، وبثّها في المناطق التي حكموها، واستخدموا وسائل إعلامية متعددة في ذلك، ومنها الأدب بعامة، والشّعر بخاصة، فقرّبوا الشّعراء، وأغدقوا عليهم الأموال، وجعلوا لهم رواتب خاصّة بهم، فأقبل الشّعراء عليهم يمدحونهم، ويتقربّون إليهم رغبة أو حبّا أو اعتقادا وإيمانا، وانطلقوا في مديحهم من أصول الخطاب الإسماعيلي الذي يدور حول الإمامة والإمام، فتجلت هذه الأصول في أشعارهم بجلاء، ودار هؤلاء في فلكها، وكان محورها الإمام. وكان لهذا الخطاب أثر آخر في الشعر، إذ تجلّت فيه فكرة التأويل، فأضحى لهذا الشعر قراءة خاصة مرتبطة بلبّ هذا الخطاب، أعني فكرة النّور الإلهي أو الحقيقة المحمّدية التي دارت تفصيلات الخطاب الإسماعيلي في فلكها، وانبثقت عنها.

مشكلة البحث

تناولت الكثير من الدراسات والأبحاث الأدب في العصر الفاطميّ، ولكن لا توجد دراسة علميّة شاملة مستقلّة تناولت صورة الإمام في شعر فحول شعراء الدولة الفاطميّة وفق الخطاب الإسماعيلي، حتى الدّراسات التي تعرّضت للصّورة لم يكن أصحابها على دراية تامّة بهذا الخطاب ونتائجه، خلا دراسة واحدة، أُنجزت حديثا تناولت الفكر الفاطمي في شعر تميم بن المعز لدين الله (ت374هـ)[1].

أسئلة البحث

يطرح البحث الأسئلة الآتية:

- كيف أثّرت فكرة الحقيقة المحمّدية أو الإنسان الكامل في الخطاب الإسماعيلي؟
- ما الصورة التي رسمها هذا الخطاب للحاكم الفاطميّ؟
- كيف أثّرت هذه الصّورة على شعراء العصر الفاطميّ؟ وكيف أبرزوها في أشعارهم؟
- ما الأثر الذي تركه هذا الخطاب على الشعر من الناحية الفنيّة.

أهداف الدّراسة

تشير أسئلة البحث إلى أهدافه، ويمكن إجمالها في الآتي:

- دراسة صورة الإمام في شعر ثلاثة من أبرز شعراء الدّولة الفاطميّة، يمثّلون مراحل مختلفة من تاريخ دولتهم في المغرب والشّام، وهم تميم بن المعزّ لدين الله الفاطميّ (ت374هـ)، وظافر الحدّاد (ت529هـ)، وعمارة اليمنيّ (ت569هـ).
- بيان أثر الخطاب الإسماعيليّ في تشكيل صورة الإمام.
- الوقوف على أثر هذا الخطاب في قراءة الشّعر، وبخاصّة فكرة التّأويل.

[1]– رسالة ماجستير غير منشورة، لهدى إبراهيم طه، جامعة لنجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1440هـ–2020م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

أهميّة البحث

تكمن أهميّة هذا البحث في الآتي أنه:

- الدّراسة العلميّة الشّاملة المستقلّة التي تتناول صورة الإمام الفاطميّ في شعر ثلاثة من فحول شعراء ذلك العصر.
- الدّراسة الأولى التي تربط بين فكرة الحقيقة المحمّديّة والإنسان الكامل وبين صورة الإمام في الخطاب الإسماعيليّ ثم تطبّقه على الشّعر.
- يكشف عن الأثر الفنيّ للخطاب الإسماعيلي في الشّعر الفاطميّ، وصورة الإمام تحديدا، وبخاصة ما يتعلّق بفكرة التأويل.

مصطلحات البحث

- الخطاب الإسماعيليّ: هو ذلك الفكر الذي طوّره فقهاء الإسماعيليّة وفلاسفتهم للإمام، واستفاد من فلسفات مختلفة، وبخاصة نظريّة الإنسان الكامل والحقيقة المحمّديّة، التي تعود جذورها الأولى إلى الفكر الأفلاطونيّ، ونظريّة الفيض[1].
- العصر الفاطميّ: هو ذلك العصر الذي بدأ في المغرب ثم امتدّ إلى مصر والشام وغيرهما من المناطق من سنة 296هـ إلى 567هـ.

الدّراسات السّابقة

- نادي ساري الدّيك، أثر الفكر في الشّعر الفاطميّ، مؤسسة الأسوار، عكا، فلسطين، 2002م، تناول فيه الباحث نماذج مختلفة من شعراء الدّولة الفاطميّة، وحاول أن يبيّن أثر الفكر الفاطميّ في أشعارهم، ولكن دراسته خلت من تأصيل حقيقي لخطاب الإسماعيليّين، ولذا جاءت مضامينها غير واضحة المعالم، وتحتاج إلى معاودة نظر في كثير ممّا جاء فيها، ولم تربط هذا الفكر بنظريّة الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمّديّة.
- دراسة هدى إبراهيم حسين طه، الفكر الفاطميّ في شعر تميم بن المعزّ لدين الله الفاطميّ، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النّجاح الوطنيّة، 2020م. تناولت الباحثة الفكر الفاطميّ، وتجلّياته في شعر تميم بن المعزّ لدين الله الفاطميّ، وتحدّثت عن صورة الإمام وفق هذا الفكر.

منهج البحث

اتبع البحث منهج الخطاب، فانطلق ممّا قدّمه الخطاب الإسماعيلي من أصول فكرية تتعلقّ بالإمام في دراسة صورته، وربط ذلك بفكرة الحقيقة المحمّدية أو نظرية الإنسان الكامل، فوصف ما قدّمه الشّعراء موضع الدّراسة، وحلّله ليتساوق مع عناصر ذلك الخطاب.

[1] انظر كتاب عائض الدّوسري، الحقيقة المحمّديّة أو الفلسفة الأفلاطونيّة، وقد تناول فيه ذلك باستفاضة.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

حدود البحث

إنّ حدود البحث الزّمانيّة الدّولةُ الفاطميّة، وفكرها الذي تجذّر وتطوّر عبر فترة حكمها الممتدّ ما يقرب من ثلاثمائة سنة (296هـ-567هـ)، واختار شعراء عاشوا حياتهم عبر مساحة هذا الزّمن، فكانوا ممثّلين للخطاب عبر مراحله المختلفة، فأوّلهم تميم بن المعزّ الذي ولد سنة 337هـ، وتوفي سنة 374هـ، وآخرهم عمارة اليمنيّ الذي عاصر أواخر الدّولة الفاطميّة، وصُلبَ بعد زوالها بسنتين، سنة 569هـ. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث لم يتمكن من الحصول على ديوان عمارة اليمني المطبوع في سوريا، سنة 2000 بتحقيق عبد الرحمن الإرياني وأحمد المعلّمي، ولذا اعتمد على نسخته المخطوطة الموجودة ضمن مكتبة نور الإلكترونية، وما جمع من شعره، وألحق بكتابه النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية.

إجراءات البحث وأدواته

تتمثّل إجراءات البحث في حصر مبادئ الخطاب الإسماعيليّ، ثم استقراء صورة الإمام وفق هذا الخطاب من أشعار الشّعراء الذين حدّدهم البحث، وتوزيعها على عناوين تمثّله ونتائجه.

أوّلاً: الخطاب الإسماعيلي

كان للخطاب الإسماعيلي أثره في الفكر الإسلامي بعامة، ثم في الأدب المذهبي الذي انبثق عنه بخاصة، ومنه الشعر. وقد بنيت أصول هذا المذهب على مجموعة من الأفكار والمبادئ التي يرتبط بعضها بعضاً في حلقات متسلسلة، تشكّل الوعي فيه، وفي الخطاب الذي انبثق عنه، ويمكن تلخيص هذه الأصول الفكرية في الآتي:

أ- نظرية الحقيقة المحمّدية أو الإنسان الكامل

تعدّ هذه النظرية الأساس الأوّل الذي بني عليه الخطاب الإسماعيلي، الذي يتلاقى في بعض أصوله مع بعض المذاهب الصوفية، وبخاصة مذهب محيي الدين بن عربي (ت638هـ) ومن سار على نهجه الصوفي، فماذا تعني هذه النظرية؟

إنّ الحقيقة المحمدية هي نظرية وضعت أسسها للربط بين عالمي الأرض والسماء، وبتعبير آخر بين عالمي اللاهوت والناسوت، و"تجمع في أركانها الحديث عن الله وأصل الخلق محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، والأنبياء ورسالاتهم، وخلق آدم ثم البشرية جمعاء"[1]، ثم ورثة الأنبياء من الأولياء والصالحين عند المتصوفة، أو الأئمة من نسل آل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، عند الشيعة. ويعود أصل هذه الفكرة إلى حديث الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، لجابر بن عبد الله حين سأله عن بداية الخلق، فأخبره، عليه السلام، أنه من نوره في قوله: "أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر"[2]. فكيف كان النور المحمّدي أوّل مخلوق؟

---

[1] رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص15.

[2] انظر ابن عربي، تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية، ص23، محمد المرون، شموس الأنوار، ص36، 37، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص15.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

يجيب ابن عربي عن ذلك إذ قال عن بداية الخلق: إنّ الله لمّا أراد خلق العالم والكون، وربطه بذاته الشريفة "تجلّى لذاته بذاته، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، أراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة، فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النور الإنسانيّ في الحضرة العلية، فوجدت حقائق العالم بوجودها وجودا إجماليا ثم أوجدهم فيها وجودا تفصيليّا، فصارت أعيانا ثابتة، فأعيان العالم في العلم والعين وكمالاتها إنّما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية"[1]، معنى ذلك:

1- أنّ الحقيقة المحمدية والنور المحمدي هي انعكاس للقبضة من نور الله، فهي نسخة عن جزء من هذا النور، فهو إذن في مرتبة تالية للنور الإلهي، وبذلك ينسجم مع قوله تعالى: "ليس كمثله شيء"[2].

2. أن هذه الحقيقة أو هذا النور حوى كل المخلوقات على البسيطة لاحقا، ومنه خُلقت، وحوى كذلك شرائع الله وأسراره التي أراد أن يوصلها للبشرية، فكان كاللوح المحفوظ، ووجوده –صلّى الله عليه وسلّم– نورا سبق كلّ موجود، ومن هنا حاز صفات الكمال[3]، فهو الأكمل وغيره الكامل، وهو الإجمال، وغيره تفاصيل، وهو الجامع لمبدأ الوحدة والكثرة، ومن حقيقته "تفرعت الحقائق علوا وسفلا"[4]، ولهذا أطلق عليه اسم الروح المحمّدي أو العقل أو الحقيقة الكليّة[5]. وبهذا النور أضاء الله العالم، وفسروا قوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض"[6] على هذا المعنى.

ويرى منظرو هذه الحقيقة أنّ الله ما خلق العالم إلا ليتجلّى فيه محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، روحا وجسدا لاحقا، روح من فيض إلهي رباني باطني، يمدّ العالم بما يحتاجه من شؤون الدين، ويعرّفهم الله، وهي بهذا المعنى تحوز صفة "الربوبية المطلقة، هذه الربوبية إنّما هي من جهة مرتبطه لا من جهة بشريته، فإنه من هذه الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربّه سبحانه وتعالى"[7]. "وبهذا الجانب يكون محمد –صلّى الله عليه وسلّم– حاز جانبين: جانبا لاهوتيّا أو باطنيّا، لأنّه مرآة الله ينشر شرعه ودينه، ويعرّف الخلق به، وجانبا ناسوتيّا أو ظاهرا محتاجا إلى الله في كلِّ شيء"[8]. فالجسد بشري ليستطيع التعامل من خلاله مع البشر، والروح انعكاس لنور الله.

إذا كان النور المحمّدي هو أصل كل تعيين ودين وشرع على البسيطة، فما مكانة الأنبياء ودورهم؟

لقد أجاب أرباب هذه النظرية عن هذا السؤال حين قسموا العالم إلى حقائق علوية وسفلية، وأعطوا الرسل الذين اصطفاهم الله –جلّ وعلا– حقّهم من المكانة والتميّز والأفضلية، فهم في المرتبة الثالثة

---

[1] ابن عربي، تنبيهات، ص17–18، إنشاء الدوائر، ص90، وانظر رائد عبد الرحيم، نظرية الحقيقة المحمدية، ص16.

[2] انظر ابن عربي، إنشاء الدوائر، ص96، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص17، سورة الشورى، آية 11.

[3] انظر رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص17.

[4] رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص21.

[5] انظر ابن عربي، تنبيهات، ص17، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص19، 21.

[6] سورة النور، آية 35.

[7] ابن عربي، تنبيهات، ص17.

[8] أبو العلا عفيفي، فصوص الحكم، 36/1، وانظر رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص20.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

بعد الحقيقة المحمديّة[1]، فآدم، عليه السلام، هو نسخة عن النور المحمّدي، ومنه سرى النور في بقيتهم، ولكنّهم جميعا جزء منه "باطنيّا، يؤهلهم كي يكونوا مميّزين على غيرهم من البشر"[2]، ومن هذا النور نسخ البشر، وكان خلقهم، فكانوا في مرتبة أخيرة، يقول محمد المرون مجملاً هذه الفكرة: "فكان محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، نسخة من الحقّ بالإعلام، وكان آدم نسخة منه وكنّا نحن نسخة منهما"[3]، فهذه نسخ لاحقة بحقيقة المصطفى –صلّى الله عليه وسلّم– لحوق الكامل بالأكمل، والأصل بالفرع[4]، وهذا ما يفسر بأن رسالاتهم جاءت ناقصة، لا تتصف بصفة الكمال مثل الرسالة المحمّدية، وأنها اختصت بقوم لا العالمين كافة[5]. ولهذا حين تجلّى النور كاملاً في الجسد المحمّدي بعد تنقله بأصلاب الأنبياء والبشر، جاءت رسالته –صلّى الله عليه وسلّم– كاملة، موجهة للعالمين، لا خصوصية فيها، جامعة "لجميع الكتب الإلهية والكونية"[6]، ومن هنا كان الرسول محمد –صلّى الله عليه وسلّم– أفضل المرسلين، وحبيب الله، وصاحب الوسيلة والشفاعة، وهو المبشّر به من الأنبياء، ولهذا أيضاً يحشر الأنبياء مع أقوامهم يوم القيامة إلا محمّداً –صلّى الله عليه وسلّم– يحشر مع البشر كلّهم[7].

ومن هنا كلّما اقترب الإنسان من المنهج النبوي، فإن النور يملأ قلبه وحياته، وينحو نحو الكمال، وإذا ابتعد، فإن جسده يظلم، لخبو هذا النور منه[8].

ولبّ السؤال عند أرباب هذه النظرية: هل ينقطع النور المحمّدي، والاتصال بعالم الله، والربط بينها بعد وفاة المصطفى –صلّى الله عليه وسلّم–؟

الجواب: يختلف الأمر عند المذاهب الإسلامية، فالمتصوفة يرون أنّ النور لا ينقطع بل لا يزال في هذه المرتبة واحد منهم، إلى أن "يظهر خاتم الأولياء، الذي هو خاتم الولاية المطلقة"[9]، يسيرون على نهج المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم، ولا يخرجون عنها[10]، ويكون بيدهم ما كان مع الرسول، محمّد صلّى الله عليه وسلّم، إلا صفة النبوة، أو بتعبير ابن عربي لديهم الاتصال والكشف مع الذات الإلهية، وعوالمها الغيبية، وهذا العلم لا يُدرك لا بعلم ولا تعليم ولا اجتهاد، ولكنه هبة من الله لعباده من أهل الخصوص[11].

---

[1] انظر ابن عربي، تنبيهات، ص10، التلمساني، دساتير إلهية، ص93.

[2] رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص21، وانظر ابن عربي، تنبيهات، ص10.

[3] محمد المرون، شموس الأنوار، ص34.

[4] انظر التلمساني، دساتير إلهية، ص93، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص21.

[5] انظر رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص22.

[6] ابن عربي، تنبيهات، ص14، وانظر الجيلي، الإنسان الكامل، ص118 وما بعدها.

[7] انظر رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص23.

[8] انظر ابن عربي، الرسائل، رسالة عين العين، ص123، سعاد الحكيم، عودة الواصل، 142، 143، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص25.

[9] ابن عربي، تنبيهات، ص27. سعاد الحكيم، عودة الواصل، ص146.

[10] انظر ابن عربي، تنبيهات، ص27، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص27.

[11] انظر محمد المرون، شموس الأنوار، ص49.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ولا يخرج الشيعة في نظريتهم في الإمامة عن هذا الأمر، ولكنّهم جعلوها مخصوصة بآل بيت رسول، الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان الخلاف فيمن يستحق الإمامة وهذا النور من نسل عليّ، رضي الله عنه. وهذا يقودنا إلى الحديث عن هذه النظرية في الخطاب الإسماعيلي على النحو الآتي:

ب- فكرة الوصاية والإمامة

لقد تبنّى الخطاب الإسماعيلي هذه الفكرة، أي الحقيقية المحمدية، وجعل سريان النور المحمدي في فئة مخصوصة بعد الأنبياء أو النّطقاء حسب معتقدهم، وهم الأوصياء، الذين عدّوا وجودهم على الأرض ضرورة إلهية لبقاء شرع الله محفوظاً عليها، وليظل هؤلاء منارة تهدي عباد الله، وتربط بين عالمي اللاهوت والناسوت، ومن هنا جعلوا حدّ الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإيمان بالأوصياء والأئمة الذين سرى فيهم سر الله أو نوره عن طريق رسله، وهذا أصل الشريعة عندهم، ولا يقبل عمل المرء دون العمل بمقتضاه[1]. وقدّموا على هذه الفكرة أدلة عقلية ونقلية متعددة، ولعل أبرزها تأويلهم الباطني لفكرة اللوح والقلم، إذ جعلوهما تعبّران عن فكرة النبيّ والإمام، والعلاقة المتلازمة بينهما في عالم الناسوت، يورد النعمان المغربي حديث الرسول، صلّى الله عليه وسلّم: "أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ من خَلْقِه القلم، ثم أجرى نهراً أحلى من العسل، وأشدّ بياضاً من اللّبن، وألين من الزّبد، ثمّ خلق في اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، فحملت العامة هذا الخبر على ما تعرفه من أنّ القلم من قصب، وأنّ اللوح من خشب على ما نشاهده، ولم تدرِ أنّ هذه هي أسماء وألقاب تحتاج إلى إيضاح، وكشف بيان وتأويل"[2].وأوّلوا القلم على أنّه أعلى حدود الله التي نهى عباده عن تعدّيها، فقال: "ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه"[3]. وقد خصّ الله هذه الحدود بخلقه، لتكون وسيلة لمعرفته، "ويؤدوا بوساطتها إلى الخلق أمره ونهيه، فالقلم هو الحامل للعلم الذي استمده من الله سبحانه، وثبته في اللّوح، واللّوح حدّ من حدود الله ودونه (أي دون القلم) أخذ العلم في اللّوح، وصار إليه منه...، والنهر الذي أجراه الله سبحانه وتعالى هو القلم، قال سبحانه وتعالى: "وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً"[4]، فالطريقة هي النبيّ الناطق في زمانه، والإمام في أوانه بعده، والماء الغدق هو العلم الغزير[5].

ثم يربط النعمان المغربي بين الحدّين العلويين القلم واللوح بعالم الناسوت، ليبيّن فكرة الوصاية والإمامة، وضرورة وجودها، وليعطي علم الظاهر للنبيّ، والباطن للوصي ثم الإمام، فيقول: "ثمّ أقام الله عزّ وجل بإزاء هذين الحدّين العلويين الروحانيين حدّين آخرين سفليين جسمانيين، وهما الناطق والصامت، فالناطق هو صاحب الشريعة، والصامت هو أساس الشريعة في عهد الناطق، وصاحب تأويلها، فالرسول ينطق بالظاهر، والأساس صامت عنه أي عن الظاهر مؤدي الباطن الذي أثبته الرسول فيه كإثبات القلم العلم

---

[1] انظر النعمان المغربي، أساس التأويل، ص63.

[2] المصدر نفسه، ص39.

[3] سورة الطلاق، آية.

[4] سورة الجن، آية 16.

[5] انظر النعمان المغربي، أساس التأويل، ص39-40.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

في اللّوح، فالناطق بإزاء القلم، والصامت بإزاء اللّوح"[1]، أو كما قال الغزالي: "القلم مفيد، واللوح مستفيد، والمفيد فوق المستفيد"[2].

إن فكرة الناطق والصامت تعني النبي والوصي الذي حفظ أسرار التأويل الباطني للشريعة. ولكن هل بموت الناطق ينتهي دور الظاهر؟ في الفكر الإسماعيلي فإن هذين الحدّين السفليين موجودان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولهذا تتحوّل الأدوار بعد موت الناطق، فيضحي الصامت ناطقاً، ويثبت العلم وأسرار تأويل في صامت جديد، فيظلّ حجة الله على الأرض الرابط بين عالمي اللاهوت والناسوت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهذا كما يقول النعمان المغربي سنة الله على الأرض وفي عالم الإنسان، "فلا يزال الأمر على ذلك الحال حتى يدور دور ذلك الناطق على سبعة أئمة"[3].

وقد أتى الكرماني، في كتابه "المصابيح في إثبات الإمامة" بأربعة عشر برهاناً عقلياً ونقلياً دالاً في رأيه على وجوب الإمامة في البشرية، وأن ذلك فرض منصوص عليه بالنص من الله عن طريق الرسل[4]، وتدور حجج الكرماني وبراهينه حول التركيز على فكرة العدل الإلهي التي تتجلّى في بقاء الرسالة بين البشر حتى بعد وفاة الرسل، فوجود الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، ليس أزلياً، وموته يحتم وجود بديل عنه يحفظ الشريعة في البشر، ينشر العدل والهدى والنظام الإلهي في الأرض، وذلك لا يتأتى إلا بوجود إمام من عند الله منصوص عليه، تجب طاعته لأنه يمثّل الله في الأرض. ولعلّ من أبرز الأدلة النقلية التي يتناقلها أرباب الخطاب الإسماعيلي قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة"[5]، وأوّلوا الوسيلة على أنها الإمام القائم في زمانه، الذي يظلّ وجوده مستمراً أزلياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتجب طاعته على العباد[6]. ومن الأدلة المهمة الأخرى التي يوردونها عادة على وجوب الإمامة في كل زمان ما ورد في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[7]، فهذه الآية تشمل ثلاث طاعات بعضها مبني على بعض، أولها طاعة الله ثم طاعة الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، ثم طاعة أولي الأمر، ولا تُقبل إحدى هذه الطاعات إلا بثانيها ولا ثانيها إلا بثالثها، وهذا الخطاب موجّه للمؤمنين في كل عصر، ولا تخصيص به، وليس من المنطق في رأي الكرماني أن يقرن الله طاعة وليّ الأمر بطاعته أو طاعة نبيه المعصوم إلا إذا كان مميزاً عن غيره، ومنصوصاً عليه من الله، ولا يكون ذلك إلا بوجود الإمام[8]. وأورد النعمان المغربي أدلة قرآنية أخرى توجب طاعة الأئمة، ومنها قوله تعالى: "إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله"[9]، وقوله تعالى: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" (سورة

---

[1] النعمان المغربي، أساس التأويل، ص40-41.

[2] الغزالي، فضائح الباطنية، ص39.

[3] النعمان المغربي، أساس التأويل، ص41.

[4] انظر الكرماني، المصابيح، ص89-98.

[5] سورة المائدة، آية 35.

[6] انظر النعمان المغربي، الهمة في آداب اتباع الأئمة، ص20، 22، الكرماني، المصابيح، 91.

[7] سورة النساء، آية 59.

[8] انظر الكرماني، المصابيح، ص94، 95.

[9] سورة الفتح، آية 10.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

النساء، آية 59)، فهذا الخطاب صحيح أنّه موجه للرسول، صلّى الله عليه وسلّم، فإنه يشمل كل من قام مقامه من الأئمة حتى يرث الله الأرض من عليها[1].

والأنبياء النُّطَقَاء في الفكر الإسماعيلي سبعة، وهم آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد، وقائم الزمان أي الإمام[2]. وجعل الخطاب الإسماعيلي لكلّ ناطق في عصره اثني عشر لاحقاً أو معاوناً، وقد أطلق عليهم الغزالي الحجج والمأذونين والأجنحة، والحجج هم الدعاة، وهؤلاء الإثنا عشر يُنتدبون في الأقطار ويتفرقون في الأمصار، يلازم أربعة منهم الإمام فلا يفارقونه. ولا بدّ لكلِّ حجة من مُعاونين له على أمره، فإنه لا ينفرد بالدعوة لنفسه، واسم المعاون "المأذون"، عندهم، ولا بدّ للدعاة من رُسل إلى الإمام، يرفعون إليه الأحوال، ويصدرون إليه الأحوال، ويصدرون عنه إليهم. واسم الرسول "الجناح"، ولا بدّ للداعي أن يكون بالغاً في العلم. والمأذون وإن كان دونه، فلا بأس بعدُ أن يكون عالماً على الجملة، وكذلك الجناح"[3]. ويخلص النعمان المغربي بعد هذا إلى فكرته التي تبين أن السبعة ويضاف إليهم الإثنا عشر مجموعهم تسعة عشر، وهذا تأويل قوله تعالى: "عليها تسعة عشر"، وهم ركيزة الإيمان، "وجمعتهم الشهادة، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم، وعمل بما أخذ عنهم، فهو مؤمنٌ من أهل الجنّة مقبول الشهادة، ومن عجز عن شيء من ذلك، أو قصّر فيه وشهد الشهادة بلسانه، فهو مسلم غير مقبول الشهادة، وحسابه على الله"[4].

وليجذّر الإسماعيليون فكرة الناطق والصامت، رأوا أن لكلّ ناطق مدة لشريعته، فإذا انتهت حقبته أرسل الله نبياً أخر لينسخ شريعته، "ومدّة كل نبي سبعة أعمار، وهو سبعة قرون، فأوّلهم هو النبيّ الناطق، ومعنى الناطق أنّ شريعته ناسخة لما قبله، ومعنى الصامت أن يكون قائماً على أسس غيره. ثمّ إنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة: إمام بعد إمام، فإذا انقضت أعمارهم، ابتعث الله نبيّاً آخر ينسخ الشريعة المتقدّمة، وزعموا أنّ أمر آدم جرى على هذا المثال، وهو أوّل نبيّ ابتعثه الله في فتح باب الجسمانيات، وحسم دور الروحانيات"[5].

إنّ هذه الفكرة التي قدّمها الخطاب الإسماعيلي، وأوّلها القاضي النعمان المغربي كانت خطوة لبيان أن لكلّ نبي أو ناطق من السبعة وصيّاً في عصره أو صامتاً وصيّاً، وأطلقوا على الصامت في حياة النبي اسم السوس، وعلى الصامت بعد وفاته اسم الوصيّ، واسم الإمام لمن برز في زمانه الخاص به، ثم راحوا يطبّقون الأدوار السبعة للنّطَقاء من الأنبياء، وأن لكل واحد منهم وصيّاً، فذكروا أن آدم كان سوسه شيث، وأطلقوا على من جاء بعده مُتمّاً ولاحقاً وإماماً، وبعد تمام الأدوار السبعة بعث الله نوحاً لينسخ شريعة آدم، "وكان سوسه سام. فلمّا استتمَ دوره بمضيّ ستة سواه وسبعة معه ابتعث الله إبراهيم ينسخ شريعته، وكان سوسه إسحاق، ومنهم من يقول: لا، بل إسماعيل، فلمّا استتمَ دوره بالسابع معه ابتعث الله موسى ينسخ

---

[1] انظر النعمان المغربي، الهمة، ص30.

[2] انظر النعمان المغربي، أساس التأويل، ص41، عبدان، شجرة اليقين، ص13، جعفر اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، ص21.

[3] انظر الغزالي، فضائح الباطنية، ص42، وانظر جعفر اليمن، سرائر وأسرار النّطقاء، ص26.

[4] النعمان المغربي، أساس التأويل، ص47.

[5] المصدر نفسه، ص43.

شريعته، وكان سوسه هارون، فمات هارون في حياة موسى، فصار سوسه يوشع بن نون، فلمّا استتم دوره بالسابع معه ابتعث الله عيسى ينسخ شريعته، وسوسه شمعون، ولمّا استتم دوره بالسابع ابتعث الله محمّداً، صلّى الله عليه وسلّم، وسوسه علي، عليه السلام، وقد استتمّ دوره بجعفر بن محمّد"[1]. والأئمة في هذا الدور بعد علي هم: الحسن بن علي، والحسين بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد "وقد استتموا سبعة معه، وصارت شريعته ناسخة، وهكذا يدور الأمر أبد الدهر"[2]. فالدور عند الإسماعيلية هو: الناطق هو الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، والوصيّ علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والأئمة على الترتيب: الحسن بن علي، رضي الله عنه، والحسين بن عليّ، رضي الله عنه، وعلي بن الحسين، رضي الله عنه، والإمام محمد بن علي، رضي الله عنه، وجعفر بن محمّد، رضي الله عنه.

وقد امتلأت كتب الإسماعيلية بالأدلة على وصاية علي، رضي الله عنه، وأن الرسول محمّداً، صلّى الله عليه وسلّم، قد نصّ عليه بعده ليكون وصيّاً أو بمفهومهم صامتاً، ليتحوّل بعد ذلك إلى ناطق، ويوصي لصامت آخر من آل بيته من فاطمة، وخلاصة صورة علي في الخطاب الإسماعيلي التي تنطبق على غيره من الأئمة بعده من نسل فاطمة يوجزها جعفر اليمن في قوله بعد الحديث عن الرسول محمد، صلى الله عليه وسلّم، والصلاة عليه: "وعلي زوج ابنته ينبوع حكمته، وقاتل أعدائه ومردته، وحامل لواء حمده، وأبو ولديه وذريته، وآيته الكبرى، ومعجزته، وصاحب تأويله وعصمته، ومجمع شريعته وسنّته، الذي أكمل الله به دينه، وتمّم نعمته"[3]. فأضحى علي بهذا المعنى استمراراً لفكرة الرسالة المحمدية، وللصفات التي أعطيت لخاتم الأنبياء.

ولا تكون الإمامة ونصّها وفق خطابهم إلا من الأب لابنه بعد أن كانت مرة واحدة من الحسن إلى أخيه الحسين، رضي الله عنهما[4]. وهذا الأمر أي الإمامة مستمرة في نسبهم ولا تنقطع أبد الدهر، ولا ينبغي لها ذلك لقوله، صلّى الله عليه وسلّم "كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي"[5]. واتفقت طوائف الشيعة حتى أواخر الدور السابق، ثم اختلفت في الإمامة بعد جعفر الصادق، فرأى الإسماعيلية أنّها في نسل إسماعيل بن جعفر الصادق لأنّ الأخير نصّ عليه وعلى نسله[6]، ومن هنا سمّوا الإسماعيلية، وسمّوا بالفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء، رضي الله عنها. ولمّا كان الفاطميون من هذا النسل فإنّ الإمامة من حقّهم دون غيرهم.

---

[1] النعمان المغربي، أساس التأويل، ص37، وانظر الغزالي، فضائح الباطنية، ص43-44.

[2] الغزالي، فضائح الباطنية، ص44.

[3] جعفر اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، ص18.

[4] انظر الأدلة في الكرماني، المصابيح، ص 119-136، النعمان المغربي، الهمة، ص25، الغزالي، فضائح الباطنية، ص62.

[5] الغزالي، فضائح الباطنية، ص42.

[6] انظر الكرماني، المصابيح، ص142-143.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ت- نتائج فكرة الوصاية والإمامة

لقد كان لهذه الفكرة أي الإمامة أثرها في الخطاب الإسماعيلي ثم الفكر الإسلامي المنبثق عنه، ويمكن إجمالها في الآتي:

1- أن الإمام منصوص عليه ممّن قبله، ولا اختيار فيها من الناس[1]، وهو بذلك يكسب شرعية إلهية بانتقال النور الإلهي والأسرار السماوية إليه، وهو بدوره يعطيها لغيره من أولاده، وكل زمان كما يقول الغزالي: "لا بدّ فيه من إمام معصوم يُرجع إليه فيما يُستبهم من أمور"[2].

2- أن الإمام الذي هو امتداد للعقل الأول في الخطاب الإسماعيلي أو النور، وهو "واسطة بين العالم الجبري ونور الإبداع"[3]، أي بما يمتلك من نور إلهي رابط بين عالم الأرض والسماء، يمثّل عالم الروح. أمّا جسده، فبشريّ ترابي سرى فيه النور، ليكون مشابها فيه الخلق ليسهل التعامل به مع أهل الأرض، فيكون مثلهم فيه[4]، فهو بينهم حجّة الله على عباده، ووسيلتهم إليه، ورحمته للعالمين، بما يملك من علم إلهي يهديهم إلى صراط الله المستقيم، يقول النعمان المغربي في الأئمة: "وهم أبواب الله وأسبابه، والوسائط بينه وبين عباده"[5]، أو كما يقول جعفر اليمن: "وجعله الله بابه وحجابه، لا يؤتى إلا منه، ولا يُطاع إلا بطاعته"[6]، بل جعلوا الإمام يملك القدرة على المغفرة، وهذا ما يبدو في قول النعمان المغربي: إذ بيّن أن الله جعل "مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون إلا من قبل أوليائه، إذ هم أبواب رحمته لخلقه، وأسباب مغفرته لعباده، ومن استشفع بهم شفّع، ومن اسْتُرحمَ بهم رُحم، ومنْ توسّل بهم وصل"[7].

3- أن الإمام يملك علوم الدين الظاهرة والباطنة، وهي لا تؤخذ إلا عنه، ومن هنا يسقط باب الاجتهاد والقياس لديهم، فلا رأي في الدين إلا رأي الإمام، ومن هنا وجب التعلّم منه[8].

4- أنّ الإمام معصوم شأنه شأن الأنبياء، ولا ينطق عن الهوى، وإنما يستمد علمه ممّا نُقل إليه من أسرار النور الذي انتقل إليه ممّن قبله[9].

5- أنّ الإمام طاعته فرض، وهي أصل من أصول الدين والإيمان، فرضها الله على عباده، فمن عمل بمقتضاها، مؤمنا بها دخل الجنة، ومن أنكرها كان مآله جهنم[10]. ولهذا حسب خطابهم فإنّ رضا الإمام من رضا الله، وسخطه مقرون بسخطه، ومن جعل له ندّا وعديلا في زمانه "فقد

---

[1] المصدر نفسه، ص111.

[2] الغزالي، فضائح الباطنية، ص37.

[3] جعفر اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، ص19.

[4] النعمان المغربي، أساس التأويل، ص46، 47، 50.

[5] النعمان المغربي، الهمة، ص103، وانظر جعفر اليمن، سرائر أسرار النطقاء، ص21.

[6] جعفر اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، ص24.

[7] النعمان المغربي، الهمة، ص45.

[8] انظر الغزالي، فضائح الباطنية، ص17.

[9] انظر الكرماني، المصابيح، ص81 وما بعدها، الغزالي، فضائح الباطنية، ص47، 51، 69.

[10] انظر النعمان المغربي، الهمة، ص20، 41، 63، 100، أساس التأويل، 37-38، جعفر اليمن، سرائر وأسراء النطقاء، ص24، الغزالي، فضائح الباطنية، ص17، 46، 56.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

أشرك كشركه بالله العظيم"[1]، ومن لم يطعهم من البشر عليه أن "يستغفر الله لما عرض له في ذلك، وبعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب، وأنّ التوبة لا تكون إلا بالإقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه، ويسخط ما سخطوه...، ويعتقد ذلك قولاً وفعلاً ونيّة وعملاً"[2]. حتى إنهم استشهدوا بحديث تداولوه في كتبهم، وهو: "إنّ النظر إلى الإمام عبادة"[3]، لأنه امتداد لذلك النور النبوي المرتبط بعالم الله، ففي كلامهم حكم وفوائد وتشريع، "يهدي الله لعلم ذلك من أحبّ، ويمنعه من شاء"[4]، ومن لم يعترف بإمامتهم فلو "عَبَدَ اللهَ على ذلك أيام حياته، وطول مدّته، لكان ممّن قال عنه الله جل ذكره: "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً"[5]. إنّ الإمام يحمل صفات الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، التي تجلّت في نوره، وليس عندهم فرق بينهما إلا في النبوة، ومع إقرارهم بأن درجة الأنبياء أعظم إلاّ أن الطاعة واحدة في النهاية، لأنّ الله قرن طاعته بطاعتهم[6]، والممارسات العملية تضعهم ربما فوق الأنبياء، ولهذا يتجلّى التشابه في الصورة في أدبهم وفكرهم وتتقاطع مع صفات الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، وهذا طبيعي فالإمام الذي يحمل الله صفات الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، وهي صفات مردها النور الإلهي، فإنهم من الطبيعي يتصلون مباشرة بالله وصفاته.

6- أن الإمام يملك علم الباطن، لديه المعاني الباطنية للقرآن الكريم، التي لا تتأتى لغيره[7]، لقد قام الخطاب الإسماعيلي على فكرة التأويل أو ما عرف في مؤلفاته بالظاهر والباطن أو المثل والممثول. ودافعوا عن هذه الفكرة، وبيّنوا أنها لبّ الفكر والأسرار التي يمنحها الناطق إلى الصامت. وراحوا يفلسفون هذا المبدأ، ويجعلونه أصلاً دينياً ينبغي الإيمان به، وبأحقيته للإمام. ولا ينفي ذلك اهتمامهم بالظاهر، ففي معتقدهم "لا يُقبل الظاهر دون الباطن، ولا ينفع الباطن دون الظاهر، لأنّ الظاهر والباطن كالجسد والروح تتولّد من اجتماعها الفوائد، وتُعرف المقاصد"[8]. والظاهر في فكرهم "هو المفهوم العام للتوصيات المتعلقة بقواعد عالم الدين، والباطن هو روح الدين المستور عن الأنظار المخصّص للألباب"، ولا يؤخذ إلا عن ثقة يُعدّ في فكرهم ممثول العقل الكلّي[9]. وتناول الغزالي في كتابه فضائح الباطنية هذه القضية، وبيّن أنهم تسمّوا بالباطنية، لإيمانهم بفكرة التأويل الباطني للشرع والقرآن وقصصه. وفي الحقيقة أنّ الخطاب

---

[1] الكرماني، راحة العقل، ص39.

[2] النعمان المغربي، الهمة، ص21-22، 25، 30، 44، 100.

[3] النعمان المربي، الهمّة، 37.

[4] النعمان المغربي، الهمة، ص38.

[5] النعمان المغربي، الهمة، ص40، سورة الفرقان، آية 40.

[6] الغزالي، فضائح الباطنية، ص 23، 42.

[7] الكرماني، المصابيح، ص63 وما بعدها، الشيرازي، المجالس المؤيدية، ص20 وما بعدها، الغزالي، فضائح الباطنية، ص17.

[8] النعمان المغربي، أساس التأويل، ص9 من مقدمة المحقق.

[9] المصدر نفسه، ص16 من مقدمة المحقق.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

الفاطمي محوره تأويل النصوص بما ينسجم مع فكرة الإمام وضرورة وجودها، وفرضها الإلهي على الخلق.

7- وبناء على ذلك كلّه فإن الإمام في الخطاب الإسماعيلي لديه جوانب من علم الغيب الذي ورثه من النور المحمّدي، وهم في هذا السياق يرون أن علمه الغيب في حدود ما أخذه ممّن قبله إلى الرسول، صلّى الله عليه وسلّم. وعلى هذا أوّلوا قول الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، لما قيل له: ومن أين يُعرف الحقّ بعدك؟ قال: "ألم أترك فيكم القرآن وعترتي"[1].

8- لهذا كلّه كان الأئمة فوق الخلق جميعهم في علومهم وصفاتهم ومكانتهم، "والذي لهم أعظم وأجلّ من أن يدرك بعلم وعقل"[2]، ومن الطبيعي أن تكون الصفات التي يحملونها مثاليه مستمدة من صفات الله لما حملوه من نور إلهي، وبالتالي لا يمكن أن يكون كرمهم أو عدلهم أو تواضعهم أو علمهم وغيرها كغيرها من صفات البشر، وإلا فلا ميزة لهم عليهم.

وهكذا فإن النور الذي يحملونه يمثّل شرع الله وعلومه التي حملها النّطقاء قبلهم، وعدّ بعضهم الإمام القائم أفضل ممّن قبله من نطقاء وصامتين، لأنهم بشّروا به جميعهم، وأضحت لديهم فكرة التبشير بالرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، وهي لكلّ من قام مقامه بعده من الأئمة.

ثانيا: صورة الإمام في الشّعر الفاطميّ

يتناول هذا العنوان انعكاس الخطاب الإسماعيلي في شعر شعرائهم، ويركّز على شعر ثلاثة منهم، وهم تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ت374هـ، وظافر الحدّاد ت529هـ، وعمارة اليمني ت569هـ، وستأتي هذه الدراسة على جوانب من هذا الأثر، لتبيّن أنّ خطابهم واحد، صدر عنه هؤلاء الشعراء، وذلك على النحو الآتي:

أ- أحقيتهم بالإمامة وانتقال النور إليهم

إنّ محوّر الخطاب الإسماعيلي الذي كتبه أئمتهم وأقطابهم يدور حول أحقية الأئمة الفاطميين بالإمامة، وأنّه حق مكتسب لهم دون غيرهم من الخلق، بل دون غيرهم من قريش، تجذّرت هذه الفكرة، وتطوّرت أسبابها عبر الزمن، وكان ذلك لإعطائهم الشرعية المطلقة في الحكم الإلهي على الأرض، وإسقاط أي حكم يدعيه غيرهم، وبخاصة من أهل السنة العباسيين.

ولقد كانت فكرة النور الإلهي الذي سرى في الأئمة، فكانوا مادته الروحية، هي الدليل الأول الذي صاغوه لبيان هذا الحق، ولم يكتفوا في جعل الحقيقة النورانية المحمدية هي التي سرت في الأئمة فأكسبتهم هذه السلطة الروحية الإلهية على الأرض، بل عدّوا أئمتهم أنواراً في السماء قبل وجود آدم، عليه السلام[3]، فتنازعوا فكرة الخلق الأول نوراً مع المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم.

---

[1] الغزالي، فضائح الباطنية، ص30

[2] النعمان المغربي، الهمة، ص15، 36

[3] سيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن الإمام والنور الإلهي.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

لقد ركّز شعر شعرائهم على فكرة النور التي منحت الأئمة الفاطميين حقّاً في الإمامة، فتجلّت فكرة الدور في شعرهم، أعني أدوار الأنبياء[1]، الذين سرى فيهم النور المحمدي ناقصاً حتى تمثّل كاملاً فيه، صلّى الله عليه وسلّم، بعد ولادته وبعثته، فكانت رسالته خاتمة الرسالات، هذا الدور الذي لم ينته عند الإسماعيليين بوفاة الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، بل استمر في نسلهم، وسيستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فقد صوّرهم الشعر امتداداً للأنبياء السابقين بعامة، وبشّرت بهم الكتب السماوية، كما يتجلّى في قول عمارة اليمني يمدح الإمام العاضد، ويبيّن أن نوره المشع من وجهه حقيقة لا مجاز فيه[2]:

أغرُّ تَشْهدُ لي أنوارُ غرّتِهِ بصدقِ ما أوْدَعَتْ منْ ذِكْرِهِ الكُتُبُ

لا تنظرنّ مجازاً حينَ تنظُرهُ **فللحقيقةِ سرٌّ** عنــكَ مُحتجبُ

وهذا المضمون يؤكد إيمان عمارة والإسماعيليين بأنّ الإمام كتلة نورانية إلهية[3]، وأنّه امتداد للنور المحمدي الذي بشّرتْ به الكتب السماوية، لأنّ النور المحمدي، حسب معتقدهم، يستمر في أصلابه من آل البيت، وبخاصة بيت علي وفاطمة، ولكنهم ليسوا أنبياء، ويجب التنبه إلى أن الصفات النورانية التي يتحلّى بها الإمام ليست تصويراً مجازيّاً، وإنّما حقيقة مطلقة وفق معتقدهم، ما يستدعي التعامل مع خطابهم أنّه كذلك.

وهذه المعاني يجليها قول آخر لعمارة في مديحه العاضد إذ صرّح بالنور النبوي المتمثل في جبين هذا الإمام، وباشتماله على الصفات النبوية كلّها في قوله واصفاً إياه تحت المظلة، وهي جزء من علامات السلطة الفاطمية، درجوا على حملها في مواسمهم، وعند بروزهم للناس[4]:

وفي المظلّةِ وجْـهٌ لم يزلْ أبـداً بِشْرُ القبولِ على وجــهٍ يُقابِلُـهُ

أشبهتَ هذا رسولَ اللهِ حينَ بدتْ على شمائِلِــهِ الحسنى شمائلُـهُ

وفي جبينِـكَ نـورٌ من نبـوّتِهِ وشاهدُ الحـقّ لا يخفـى دلائلُـهُ

ويصرّح تميم بن المعز بذلك إذ بيّن أن نور الإمام العزيز بالله الفاطمي من النور المحمّدي، الذي وجد قبل البشر، فقال[5]:

صورٌ من جوهرِ النبوّةِ إذ كان الورى طينةً وأمواها

بل عدّه في شعر آخر وارثاً الأنبياء، وحجة الله على الأرض، فقال يمدحه[6]:

إنّما أنتَ حجّةُ اللهِ لاحتْ في البرايا ووراثُ الأنبياء

ويصرّح تميم في قصيدة أخرى أنّ أخاه العزيز بالله هو الإمام قائم الزمان، وأنّه الذي ورد ذكره في الكتب السماوية مبشرة به، وهذا دليل على اقتران نوره بنور النبوة المحمدية، وحقيقته النورانية، صلّى الله عليه وسلّم[7]:

أنتَ المُسمّى المُرجّى قبلَ مولدهِ والخامسُ القائمُ المذكورُ في الكُتُبِ

---

[1] انظر عبد الرحمن حجازي، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، ص117، علي شود كيفيتش، الولاية والنبوة، ص91،92.

[2] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة34-35.

[3] انظر عبد الرحمن حجازي، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، ص117.

[4] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 220.

[5] تميم بن المعز، الديوان، ص38.

[6] المصدر نفسه، ص26، وانظر ص55.

[7] المصدر نفسه، ص69.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ولا يختلف ظافر الحدّاد عن غيره من الشعراء في بثّ أصول هذه الفكرة في شعره، بل تتضح عنده بجلاء حيث صوّر الإمام الفاطمي وارثاً الأنبياء كلّهم، وبخاصة النبيّ محمّداً، صلّى الله عليه وسلّم، بل جعله ابنه في شعره، وصوّر نوره متنقلا في الأصلاب حتى وصل من الأنبياء إليه، فقال في مديح الحافظ الفاطمي[1]:

هذا ابنُ مَنْ أدنـاهُ منهُ إلهـهُ كالقابِ من قوسينِ في تمثيلِهِ
هذا ابنُ مَنْ نَطَقَ الذِّراعُ لجدّهِ إذْ سَمَّـهُ الكفّارُ في مأكـولِهِ
مَنْ آمَنَتْ جِنُّ البـلادِ بهِ وقدْ سَمِعَتْ كـلامَ اللهِ في تنزيلِـهِ
ما زالَ يَنْقُلُه الإلـهُ مُطهّـراً عنْ ظَهرِ مثلِ ذبيحِهِ وخليلِـهِ
وتوارَثَتْهُ الأنبياءُ وسادةُ الـ ـخُلَفاءِ حتى حانَ وقتُ حلولِهِ

لا شكّ أنّ هذه الأبيات تشكّل لبّ الخطاب الإسماعيلي في النور المحمّدي ووراثته وتنقله في أصلاب الأنبياء حتى حلّ في الإمام، فورث الإمامة شرعاً عمّن قبله.

ويكثر الشعراء من الحديث عن نسب الأئمة الرفيع من قريش الذي أهّلهم لقيادة الأمة بل الإنسانية، ويجدر القول بأنّ هذه الإشادة لا تمثّل الدم بقدر ما تمثل النور المتجسد في هذا البيت النبوي من قريش دون غيره، فالانتساب هو انتساب سماوي، كانت فكرة النور والسرّ الإلهي محوره، ومن هنا كانت الإشادة بشرفه لصلته تلك بمحمد، صلّى الله عليه وسلّم، وارث أنوار الأنبياء، بل أصلها، ويبدو ذلك في قوله يمدح العاضد[2]:

شرفٌ تبيتُ بهِ قريشٌ كلُّها عَوْلاً لكُمْ وعليكمُ التعويلُ
إنّ الرسولَ أبوكُمُ من دونِها فمنِ الذي منها أبوهُ رسولُ

ويشير عمارة اليمني إلى هذا الامتداد النوراني في الأئمة الفاطميين في قوله يمدح العاضد[3]:

ذُخرُ الأئمةِ كافلُ الخلفاءِ منْ نسلِ الهداةِ الخمسةِ الأطهار

والخمسة الأطهار في العقيدة الفاطمية هي التي تناقلوها في أثر تتداوله مصادر الإسماعيليين، مرفوعاً إلى "صفوان الجمال قال: دخلتُ على أبي عبد الله جعفر بن محمد، عليه السلام، وهو يقرأ هذه الآية "فتلقّى آدمُ من ربّه كلماتٍ فتاب عليه إنّه هو التّوابُ الرحيم" (سورة البقرة، آية 37)، ثمّ التفت إليّ فقال: يا صفوان إنّ الله تعالى ألهمَ آدم، عليه السلام، أن يرمي بطرفه نحو العرش، فإذا هو **بخمسة أشباحٍ من نور** يسبّحون الله ويقدّسونه، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي لولاهم ما خلقتُ الجنّة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم ولو أنّ عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ثمّ توسل إليّ بحقّ هؤلاء لعفوتُ عنه. فلمّا أن وقع آدم بالخطيئة، قال: يا ربّ بحق هؤلاء الأشباح اغفر لي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّك توسلت إليّ بصفوتي، وقد عفوت عنك، قال آدم: يا ربّ بالمغفرة التي غفرت إلاّ أخبرتني من هم؟ فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسةٌ من ولدك، لعظيم حقّهم عندي اشْتقّت لهم خمسة أسماء من أسمائي، فأنا المحمود، وهذا محمود، وأنا العلي، وهذا عليّ، وأنا الفاطر، وهذه فاطمة، وأنا المحسنُ، وهذا الحسن، وأنا الإحسان، فهذا الحسين"[4]. إنّ هذه

---

[1] ظافر الحدّاد، الديوان، ص258.
[2] عمارة اليمني، المختار من ديوانه، ص306.
[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 30.
[4] النعمان المغربي، شرح الأخبار، 3/6-7.

الرواية تبيّن نظرة الفاطميين إلى أئمتهم وأنهم امتداد لأنوار مقدسة سابقة الوجود، وهي مخصوصة في بيت النبوة يعني من نسل علي وفاطمة دون غيرهم، وهم صفوة خلق الله، الذين اختار لهم أسماء مشتقة من أسمائه ليكونوا ممثلين له على الأرض، ويربطوا بين عالم الله والخلق. وقد صرّح عمارة اليمني بذلك حين بيّن أنّ نورهم سبق آدم حين كان بين الماء والطين، وأنه بهم قد غفر الله له لمكانتهم عنده، فقال[1]:

بهمْ قَبِلَ الرحمنُ توبةَ آدمٍ وشفّعهمْ فيهِ وآدمُ طينُ

ويكثر عمارة اليمني من الحديث عن نسبة الأئمة الفاطميين إلى الرسول، صلّى الله عليه وسلم، ثم إلى عليّ وفاطمة، رضي الله عنهما، وهذا أصل من أصول خطابهم الفكري، لأنّ الإمامة لا تحقّ إلا لمن كان من نسل هؤلاء دون غيرهم من قريش، ولا ينفك عن ربط ذلك بفكرة النور التي عبر عنها تارة بالكواكب، وتارة أخرى بالأفلاك والشهب، دلالة على مكانة الأئمة النورانية في الأرض، وعلى أفضليتهم على الخلق قاطبة، ومن ذلك قوله في رثاء العاضد[2]:

أبني عليّ والبتولِ وأحمدٍ وكواكبَ الدّنيا وخيرَ الناسِ

والأفكار ذاتها تجلّت في شعر تميم بن المعز لدين الفاطمي، وظافر الحداد، وكرّروها في شعرها، فمن ذلك قول تميم إذ عدّ الإمام العزيز امتداداً لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الذي ساند الرسولَ، صلّى الله عليه وسلّم، في معركة بدر، واختاره، عليه السلام، وصيه في غدير خم، فقال[3]:

وابنُ مَنْ بانَ فَضْلُهُ يومَ بَدْرٍ واصطفاهُ النبيُّ يومَ الغديرِ

ويجمع نسبه وامتداده إلى خيرة بني هاشم، وإلى النبي، صلّى الله عليه وسلّم، ونوره الذي يمثّل الشرع ورموز الدين في قوله يمدح العزيز[4]:

لأنّكَ الغرَّةُ مــنْ هاشــمٍ والصّفوُ من ساداتِها واللّبابْ

وابنُ الصَّفا والحِجْرِ وابنُ الهُدى وابنُ نبيّ الله وابنُ الكتـابْ

ومثل ذلك ما جاء في قول ظافر الحداد إذ نسبه إلى علي بن أبي طالب، أو حيدر على حدّ تعبيره وفاطمة، رضي الله عنهما، وخيار هاشم الذين بنوا فاعلوا مجدهم، فقال يمدح الإمام الآمر[5]:

خيرُ الخـلائفِ من أبناءِ حيدرةٍ وفاطــمٍ أيّ آبــاءٍ وأولادِ

علياءَ أسّسها آبـاؤهُ وبنــى فيها بغرّ الأيـادي فوقَ أطـوادِ

يا ابنَ الأُلى سَلَفوا من هاشمٍ ولهمْ مَدْحٌ يُكرّرُهُ الشّادي على النّادي

والأئمة الفاطميون ورثوا الإمامة عمّن قبلهم من أئمة في دولتهم، فهذا العاضد امتداد للإمام الحافظ، يقول عمارة في مديحه[6]:

أوارثَ مجدِ الحافظِ بنِ محمّدٍ وحافظَ حُكْمِ اللهِ في مُحْكَمِ الذّكرِ

---

[1] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 212.

[2] عمارة اليمني، المختار من ديوانه، ص281.

[3] تميم بن المعز، الديوان، ص172.

[4] المصدر نفسه، ص61.

[5] ظافر الحداد، الديوان، ص112.

[6] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص236.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ويبين تميم بن المعزّ أنّ الإمام العزيز بالله امتداد لمن قبله من أئمة فاطميين حازوا صفات الكمال، فقال[1]:

في كمالِ المعزِّ في هيبةِ القا ئمِ في حسنِ هيئة المنصورِ

ويؤكد تميم في شعر آخر هذا الأصل الفكري ليؤكد أحقية العزيز بالخلافة، فقال مشيداً بانتمائه للإمامين جدّه المنصور وأبيه المعزّ، ولعليّ وفاطمة، رضي الله عنهما:[2]

من ذا كمنصوركَ المبارك أم مُعِزّك الرافعين هذينِ

أم منْ يُدانيـكَ في أبـوّتِـهِ مِن علويّـن فاطميّينِ

ويروّج الشعراء فكرة مهمة في خطاب الإسماعيليين، وهي أن هذا النسل من الأئمة لن ينقطع أبد الدّهر، مستندين في ذلك إلى قول الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم: "كل سببٍ ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي"[3]. وهذا ما يتجلّى في شعر عمارة اليمني في قوله يمدح العاضد[4]:

منْ دوحةِ المصطفى الهادي التي كَرُمتْ منها المنابتُ والأعصارُ والرُّتَبُ

أحييْتُمُ ذكــرَهُ فينـــا وسنّتـــهُ ولـمْ يَمُـتْ سلفٌ أنتمْ لهُ عَقَبُ

يُهدى بكــلِّ جيلٍ تَطلعــونَ بـهِ كأنّكُمْ في سماواتِ العلا شُهُبُ

ما زالَ مَنْصِبُكـمْ فينـــا يقـومُ بـهِ منْ نَسْلِكُـمْ قائـمٌ باللهِ يَحْتَسِبُ

ويعبّر عن الفكرة ذاتها إذ مدح العاضد وبيّن أن الإمامة دائبة متنقلة فيهم عبر الزمان، يقول[5]:

وسريرةٌ دَرَجَ الزّمانُ وحُكْمُها مُتَنَقّلٌ ما بينكُمْ مُتردّدُ

وهناك فكرة مهمة جذّرها الخطاب الإسماعيلي، وهي أنّ الإمامة في هذا البيت النبويّ لا تكون إلا بالنصّ، فليس كلّ أفراده يستأهلون أن يكونوا أئمة بل من نُصّ عليه من الإمام قبله، وهو أبوه حسب فكرهم، وهذا النص ليس خياراً أو اجتهاداً بل هو حكم إلهي، يتولى فيها الإمام مهمته التي تربط بين عالمي الأرض والسماء، وقد أكثر الشعراء من الحديث عن هذا الأصل من أصولهم في الإمامة وتجلّى ذلك في قول عمارة يمدح العاضد[6]:

ورثوا الإمامةَ حاضراً عن غائبٍ وتداولـوها أوّلاً عـــن أوّلِ

من ظـافرٍ أو فائـزٍ أو عاضـدٍ بيتٌ خلافتُهُ على النّص الجلـيْ

أوْصَى إليْكَ بها ابنُ عمّكَ بعـدَهُ **نصّــاً** كما نصَّ النبيُّ على عليْ

وهذا ما يبدو في قوله في قصيدة أخرى[7]:

ورثْتَ الهدى عن نصّ عيسى بن حيْدَرٍ وفاطمةٍ لا نصّ عيسى بن مريـمِ

وقــال أطيعوا لابـنِ عمّـي فإنّـهُ أميني على **سرّ الإلـــهِ المُكتّــمِ**

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص145.

[2] تميم بن المعز، الديوان، ص409.

[3] النعمان المغربي، شرح الأخبار، 5/3.

[4] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 35.

[5] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص122.

[6] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 22، مختار ديوانه، ص309.

[7] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص339.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

كذلكَ أوصى المُصطفى في ابنِ عمّـهِ إلى مُنجدٍ يومَ الغديرِ ومُتهــمِ

وواضح من النصّ حديث الشاعر عن الأسرار الإلهية، وهي النور ذاته، التي تنتقل من إمام إلى آخر بعد الوصاية، وتؤهله لأن يحمل أمانة الله في الكون. وهذا يؤازره قوله في موضع آخر يمدح العاضد، ويبيّن أنه لولا هذه الوصية لما كان هناك شرع ولا هدى ولا مواسم دينية من عيد ورمضان[1]:

فهنّ بهِ الشهورَ ولا تُخصّصْ بذلكَ شهرَ فِطرٍ أو صيـامِ

فلولا نصُّ عِترتِهِ عليــهِ لما صارتْ مواسمَ للأنـامِ

ويركّز في قصائد أخرى على فكرة النصّ والوصاية، وأن هذا النصّ أعطى العاضد شرعية جعلته يختلف عن غيره من مدعي الخلافة قياساً أو تعييناً، وهو يقصد بهم العباسيين، يقول في مديح العاضد[2]:

أغنى عن التّقليد نصُّ إمامةٍ والنصُّ يَبْطُلُ عندَهُ التقليدُ

ويتجلّى ذلك في قوله مهاجماً العباسيين الذين ادّعوا الخلافة قياساً لا نصّاً، ويبيّن بطلان دعواهم فيها[3]:

وكلُّ إمـامٍ في لياليــهِ هذهِ إمامتُـهُ شـكٌّ وأنـتَ يقيـنُ

بُنِيتَ على النصّ الجليّ وغرّهمْ قياسٌ على أصلِ الهُدى وظنونُ

أَيُستَرُ الصُّبحُ والفجرُ ساطـعٌ ويُكْتـمُ نـورُ الحـقِّ وهْوَ يقينُ

ومن هنا استحق الإمام الفاطمي هذا اللقب أو لقب المهدي الذي تكرّر في شعر عمارة كثيراً، وقد جعلوا إمامهم "وليّ الأمر وصاحب الزمان"، أو إمام العصر[4]، ويبدو ذلك في قول عمارة إذ زار مصر المرة الأولى ومدح خليفتها الفاطميّ الفائز بالله، فبيّن أن نوقه قد ساقته إلى هناك حيث رأى **إمام العصر** ماثلاً أمامه[5]:

قرّبنَ بُعدَ مزارِ العزِّ من نَظَري حتى رأيتُ إمامَ العصرِ منْ أَمَمِ

والعاضد هو **إمام الزمان** قد قرّب آل رزيك منه وآواهم وصاهرهم، ويبدو ذلك في قول عمارة مخاطباً إيّاهم[6]:

ولو لمْ تكونوا آمرينَ على الورى لَكُنْتُمُ أحقَّ الناسِ بالنهيِ والأمـرِ

فكيفَ وقد أضحى إمامُ زمانِكـمْ لكـمْ جامعاً بينَ الكفـالَةِ والصّهرِ

ويطلق عليه عمارة اسم المهدي الذي صفت الأيام بوجوده، فقال[7]:

بالعاضدِ **المهـديّ قُدِّسَ** ذكرُهُ صفتْ لنا الأيـامُ بعدَ سقـامِ

---

[1] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 7.

[2] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص199.

[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 216. ولمزيد من الأمثلة انظر ورقة 122، مختار ديوانه، ص339، 346.

[4] النعمان المغربي، رح الأخبار، 88/1، 89.

[5] عمارة اليمني، النكت العصرية، ص32، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 197/22، أبو شامة، الروضتين، 301/2، الذهبي، تاريخ الإسلام، 413/12.

[6] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص236.

[7] المصدر نفسه، ص343.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وتتضح فكرة المهدية عند تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، إذ مدح العزيز، وبيّن أنّ دولة الإمامة باقية ما بقي الزمان، يقول[1]:

إمامةٌ مهديّةُ اللواءِ ودولةٌ دائمةُ البقاءِ

ب- النّور الإلهيّ وتجلّياته في الإمام

كانت فكرة النور المحمّدي أو الإلهي أو نظرية الإنسان الكامل حاضرة بجلاء لدى شعراء المذهب الإسماعيليّ، وقد كرّروا مصطلح النور ومرادفاته مرات عديدة في شعرهم، وكان لحضوره صور متعددة في خطابهم، يمكن إجمالها في الآتي:

- **نور الإمام من نور الله**

اتّضح من الحديث عن أحقية الفاطميين بالإمامة أنّ السرّ وراء شرعيتها فيهم النور الإلهي أو الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي الذي سرى ابتداء في الأنبياء، حتّى تجسّد كاملاً في الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم[2]، ثم انتقل بعد وفاته في وصيّه عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، ثمّ في آل بيته من فاطمة وعليّ، فأضحى الأئمة بذلك يمثّلون عالم اللاهوت في عالم الناسوت بل في الكون كلّه، فهم في نهاية المطاف يمثّلون نور الله، وواسطته بين عباده، وقد نصّ الخطاب الإسماعيلي على ذلك بما رووه عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، في خطبة غدير خم في حجة الوداع إذ خاطب المؤمنين، فقال واصفاً آل بيته من علي: "إنّي خشيتُ ألا أراكم وألا تروني بعد يومي هذا في مقامي هذا، وقد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا الحوض، **حبل ممدود من السماء إليكم، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم**"[3]، وقد سبق أن عرضت الدراسة حديثهم عن توبة آدم الذي تشفّع بأنوار الأئمة الخمسة الأطهار أساس الكون، ومن خُلِقَ الكون لأجلهم والجنة والنار، ما يعني أنهم كانوا موجودين نوراً من نور الله قبل وجود آدم بل الكون أجمعه. وقد عبّر الشعراء عن ذلك في أشعارهم، ومنهم عمارة اليمني الذي صرّح بأن أصل الأئمة من نور، وأنه متمثل فيهم، فقال[4]:

أئمةٌ خلقوا نوراً ونورهمُ عن نورِ خالصِ نورِ الله لم يفلِ

وكرّر عمارة اليمني الحديث عن أن الأئمة كتلة نورانية، ليسوا كبقية الخلق من لحم ودم كما يبدو في قوله مادحاً العاضد[5]:

وإنّك نورٌ للهدى متجسّدٌ ولستَ كأجسادٍ من اللّحم والدّمِ

ولهذا من يرى الإمام فإنّه يرى الأنوار تشعُّ منه، وهي أنوار مقدسة تشير إلى صلته بالله وأنبيائه السابقين، وهي أنوار تنشر عدل الله، وتزيل ظلمات الضلال كما يبدو في قول عمارة يمدح الإمام الفائز بالله[6]:

---

[1] تميم بن المعز، ديوان تميم، ص17.

[2] انظر رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص64.

[3] النعمان المغربي، شرح الأخبار، 105/1.

[4] الصفدي، الوافي بالوفيات، 370/17.

[5] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 246.

[6] عمارة اليمني، النكت العصرية، ص33، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 197/22، أبو شامة، الروضتين، 301/2، الذهبي، تاريخ الإسلام، 413/12، الصفدي، الوافي بالوفيات، 238/22.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وللإمامةِ أنوارٌ مقدّسةٌ تجلـو البغيضينِ من ظُلمٍ ومنْ ظُلَمِ
وللنبوّة آياتٌ تُنـصّ لنا على الخفييّنِ من حُكْـمٍ ومن حِـكَمِ

وعبّر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي عن ذلك، ولهذا يؤكّد أن أخاه الإمام العزيز من روح القدس، في جسم ترابيّ، وهذا ما جعله مقدّماً على سائر الخلق، ومظاهر الطبيعة والكون، كما يبدو في قوله[1]:

ما أنتَ دُونَ مُلوكِ العالمينَ سِوى رُوحٍ من القدسِ في جسمٍ منَ البَشَـرِ
نورٌ لَطيفٌ تَناهى فيكَ جَـوْهَرهُ تناهياً جازَ حدَّ الشّمس والقَمـرِ

وينصّ ظافر الحداد على أنّ الإمام الآمر هو نور من نور الله، الذي تتنافس في بيان كنهه العلماء، يقول[2]:

هذا ضياءُ اللهِ والمعنى الذي تتفاضلُ العلماءُ في تعليلِهِ

وكان لهذه العلاقة بين النور الإلهي ونور الإمام مظاهر متعددة في شعر الشعراء، وكلّها تجسّد مكانة الإمام من الله، ودوره الرابط بين عالمي اللاهوت والناسوت، ومن ذلك أنهم صوروه حبله الممدود لعباده، كما يبدو في قول عمارة اليمني يمدح العاضد[3]:

وبقيّة اللهِ التي ببقائِها تجري الأمورُ على أتمّ نظامِ
لُذْنا بحبلِ ولايةٍ فكأنّما لُذْنا بِرُكنَيْ يَذبُـلٍ وشـآمِ[4]

ويضيف ظافر الحداد إلى هذا المسمى، صفة أخرى وهي أن الإمام "عروة الله" في إشارة بالغة الدلالة للعلاقة بينه وبين خالقه، فقال في الحافظ[5]:

يا عروةَ اللهِ التي لمْ ينتفعْ إلا امرؤٌ علقتْ يداهُ بحبلِها

ويكرر ظافر الحداد المعنى ذاته إذ وصف الإمام الآمر بأنه العروة، والهادي الشفيع للخلق الذين اعتصموا به، فيقول[6]:

يا عروةً فازتِ المستمسكونَ بها أنتَ الشفيعُ وأنتَ المُرشدُ الهادي

ومن الصفات أو الأسماء الدالة على العلاقة الرابطة بين الإمام وربّه، اسم "**حجة الله**" على الأرض، جاء ليهدي الضالين، ويمنحهم الطريق القويم، وهو مصطلح آخر من مصطلحات الإسماعيلية الدالة على العلاقة بين الله وعباده، وتجلّى ذلك في قول عمارة يمدح العاضد[7]:

يا **حجّة الله** التي **بضيائِها** هُديتْ بصيرةُ حائرٍ عن قَصْدِهِ

---

[1] تميم بن المعز ، الديوان، ص355.
[2] ظافر الحداد، الديوان، ص258.
[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 46.
[4] جبلان عظيمان في نجد ورد ذكرهما في الشعر الجاهلي.
[5] ظافر الحداد، الديوان، ص264.
[6] المصدر نفسه، ص112.
[7] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 226.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ويتجلّى ذلك في شعر تميم بن المعز في غير موضع، ومنه قوله إذ مدح العزيز، وصوره وريث الرسول، محمد، صلى الله عليه وسلّم، في هذا الأمر[1]:

وحجّةُ اللهِ التي لمْ تُرددِ بعدَ النبيّ المُصطفى مُحمّدِ

ويجعل ظافر الحداد الإمام الحافظ حجة الله على الخلق، وجبت طاعته عليهم، وهذه الطاعة فطرية تألفها النفوس، فقال[2]:

يا حجّـةَ اللهِ التي وَجَبَـتْ أهلَ الزَّمانِ بِفَرْعِها وبأصلِها
إنّ القلوبَ تألّفَتْ واستسلمتْ طَوْعاً إليكَ بِعِلْمِها لا جَهْلِها

ويتجلى هذا المظهر الإلهي فيه بأن صار سرّ الله بين عباده، ما يعني أنه صار وعاء العلم الإلهي، ومصدره، بل صاحب تفسيره وشرحه، ويتجلّى ذلك في قول عمارة يمدح العاضد[3]:

يُخاطِبُها الجوزاءُ سرّاً وخُفيةً بمكنونِ ما لله فيكَ من سرِّ

وكرّر تميم بن المعز هذا المعنى غير مرة في شعره، فقال معبّراً عن هذه العقيدة، وجاعلاً الإمام صفوة الله في خلقه[4]:

يا صفوة الله مِنْ بريّته وسرَّ عَلْيائِه الذي ظَهَرا

ولهذا استحقّ الإمام أن يكون في مرتبة تالية بعد الله مباشرة، فلا أحد يدانيه ولا يزاحمه في هذه المكانة من خلق الله، وهو ما عبّر عنه عمارة في قوله يمدح العاضد[5]:

دانو بحبِّ خليفةٍ ما فوقَهُ في الأمرِ إلا الخالقُ المعبودُ

ويتضح هذا المعنى في قول تميم يمدّح والده المعزّ[6]:

لِيَهْنِكَ أنّ اللهَ فوقَـكَ مالـكٌ ودونَـكَ كـلّ المالكينَ عبيدُ

وينفى تميم في شعر آخر أن يكون هناك أحد من الخلق يداني منزلة أخيه العزيز، فقال[7]:

رعاكَ الذي استرعاكَ أمرَ عبادِهِ فما لَكَ في هذا الأنامِ ضريبُ

وتتكرر هذه المعاني في شعر ظافر الحداد، إذ بيّن أن الآمر لا شبيه له في الخلق، فقال[8]:

بقيتَ يا جُملةَ الفضلِ التي عَظُمَتْ عنْ أنْ تُقاسَ بأمثالٍ وأندادِ

واستحقّ الإمام بما فيه من نور إلهي أو محمّدي صفة الكمال في الكون وبين الخلق، فهو بما تجلّى فيه من حقيقة محمدية أضحى المظهر الأتمّ الجامع لهذه الحقيقة[9] كما يبدو في قول عمارة يمدح العاضد[10]:

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص136.
[2] ظافر الحداد، ص262–263، وانظر ص 324.
[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 52.
[4] تميم بن المعز، الديوان، ص320.
[5] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 211.
[6] تميم بن المعز، الديوان، ص99.
[7] المصدر نفسه، ص55.
[8] ظافر الحداد، الديوان، ص113، وانظر ص111.
[9] انظر تفصيل ذلك في كتاب علي شود كيفيتش، الولاية والنبوة، ص100.
[10] المصدر نفسه، ورقة 51.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

إمامُ هُدَى أَرْبَى على كلِّ غايةٍ كَمالاً وما أرى سنيناً على العسرِ

وهذا تميم بن المعز يجعل أخاه الإمام العزيز كاملا مبرّءاً من كل عيب، فقال[1]:

لم يَخْلُقِ اللهُ فيكَ ساقطةً تُسخنُ عينَ العلا ولا كَدَرا

وهذه المكانة التي منحها النور إلى الإمام جعلته الواسطة بين الله وخلقه، فمن دعا باسمه، وتوسّل به قُبلت دعوته، وهذا ما أوضحه بجلاء حديث الخمسة الأطهار سابق الذكر، وأهّله النور لأن يحمل صفات الله، عزّ وجلّ، فهذا ابن سبعين وهو أحد منظّري نظرية الإنسان الكامل يقول: "اعلم أنّ الإنسان الكامل هو الذي يستحقّ الأسماء الذاتية، والصفات الإلهية، استحقاق الأصالة والمُلك بحكم المُقتضى الذاتي"[2]، ومن هذه الصفات رزق العباد والرحمة للعالمين، وتجلّت في قول عمارة يمدح العاضد[3]:

إذا انْسَدّ عنّا بابُ رزقٍ ورحمةٍ فليسَ بمرفوعٍ ولا بمجابِ

وكلُّ دعاءٍ لـمْ يُشيّعْ بِذِكْرِهِ فليسَ بِمَرْفوعٍ ولا بِمُجابِ

ويكرّر عمارة بعض هذا المعنى في قوله يمدح العاضد[4]:

إذا اشتدّ عنا بابُ رزقٍ ورحمةٍ حَطَطْنا المُنى منهُ بأوسعِ بابِ

بل جعل تميم بن المعز من يدعوه، فقد قبل دعاؤه، كما يبدو في قوله يمدح العزيز بالله[5]:

وداعيكَ مقبولٌ مُجابٌ دعاؤهُ وراجيكَ للمعروفِ ليسَ يخيبُ

ويصفه عمارة صاحب العفو والغفران وتتجلّى هذه الصفة إذ عبّر عن أن ما يُقال في العاضد من مديح هو غفران للذنوب، وكأنه تسبيح له، يقول[6]:

ومتى تقومُ بِبَعضِ فَرْضِكَ مَعشرٌ أضحتْ خطاياهُمْ بِمَدْحِكَ تُغفرُ

وهذه العلاقة بين اللاهوت والناسوت أهّلت الإمام كي يُمنح صفة القداسة، والطهارة، فكرر عمارة غير مرة لفظة "الطّهر" في وصفه الإمام، وجعلته يُقسم به، ويصبغ عليه صفة العصمة التي يلحّ عليها الخطاب الإسماعيلي، وربط قسمه بالنجاة من العقاب وجعله طلباً للأجر والثواب، وهو ما يبدو في قوله يمدح الخليفة الفائز[7]:

أَقْسَمْتُ بالفائزِ المَعصومِ مُعتقداً فوزَ النَجاةِ وأجر البرِّ بالقسمِ

ولذلك كلّه استحق الإمام التأييد الإلهي، لأنّه حامل نوره، وحبله بين السماء والأرض، وهو ما عبّر عن الشاعر عمارة في مديح العاضد إذ قال[8]:

إنّ الخِلافةَ لا يَزالُ يمدُّها منْ ربّها التّأييدُ والإلهامُ

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص160.

[2] الجيلي، الإنسان الكامل، 29/2

[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 420.

[4] عمارة اليمني، المختار من ديوانه، ص168.

[5] تميم بن المعز، الديوان، ص54.

[6] عمارة اليمني، الديوان، ورقة 215.

[7] عمارة اليمني، النكت العصرية، ص33، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 197/22، أبو شامة، الروضتين، 413/2، الصفدي، الوافي بالوفيات، 238/22.

[8] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 238. وانظر ديوان ظافر الحداد، ص113، 255.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ولهذا كلّه اصطفاه الله على سائر الخلق ليحمل شرعه إلى الناس، وهو بذلك يشترك مع الأنبياء السابقين ومكانتهم من الله، وقد تكرّر هذا المعنى كثيراً في شعرهم، ومنه قول تميم بن المعز[1]:

واللهُ ملّكَكَ الدّنيا وساكِنَهـا واللهِ أعطـاكَ ما لـمْ يُعطهِ أحداً

واللهُ جارُكَ ممّا أنتَ تَحْـذَرُهُ ومصطفيكَ ومُعطيكَ الذي وَعَدا

- **نور الإمام أصل الكون والطّبيعة**

تبيّن من الحديث عن الخطاب الإسماعيلي أن عقيدتهم تؤمن أنّ النور المحمّدي الذي تجلّى في الإمام لاحقاً هو مصدر كلّ خلق، فمنه انبثقت التعيينات في الحياة والكون، وهو الأصل والباقي فرع، أو الكل والباقي تفاصيل[2]، ومن ذلك الأكوان والطبيعة بما فيهما، فتجلى فيها هذا النور على الحقيقة، وبدا هذا الخطاب في شعر شعرائهم في غير وجه، فبيّنوا أنّ الدنيا كلها والأكوان تشرق بنور الإمام وريث النور المحمدي، وهذا الإشراق ليس على سبيل المجاز بل على سبيل الحقيقة، وهذا ما يتضح في قول عمارة اليمني يمدح الإمام العاضد[3]:

وأشْرَقَتِ الدُّنيا بغرَّتِكَ التي تبلّجَ منها نورُ أفعالِكَ الغرِّ

ويصرّح تميم بن المعز بهذا الأمر إذ جعل نور الإمام أصل الدنيا، فنوره كأنه رداء ترتديه، خالد فيها، وهو مصدر استقامتها وصلاحها، يقول في مديح الإمام المعز لدين الله[4]:

فلا زالتِ الدّنيا ونورُكَ لبسُها ولبسُكَ فيها صحّةٌ وخلودُ

ويجعل تميم الإمام في شعر آخر أصل كلّ موجود، بل تشكّل منه الوجود، فقال[5]:

وأنكَ الوارثُ كلّ السؤددِ الواجدُ ما لم يوجدِ

ومن هنا فإن مصدر كل جمال أو نور في الكون هو الإمام، ومنه اكتسبت الكواكب ضوءها وحسنها، ولذلك كان هو إياها، وهذا ما صرّح به تميم إذ قال في الإمام العزيز[6]:

لأنّ منْكَ استعارَ الـ ـزّمانُ حُسـنَ حلاه

فأنتَ شمـسُ ضحاهُ وأنـتَ نورُ دجــاه

ويؤكد ظافر الحداد هذا الأصل الفكر، إذ نصّ في شعره على أنّ الإمام واحد، والباقي أجزاء عنه، ولهذا استغنى عنهم، فقال[7]:

هو واحدٌ والنّاسُ طُرّاً بَعْضُهُ ما عازَهُ في الخَلْقِ غيرُ عديلِهِ

ويبين في شعر آخر أنّ الإمام هو هذا النور الذي يعمّ حياة الناس، وكونهم، فقال[8]:

وما الناسُ إلا كالدّجى وصباحُها أئمتها والشمسُ آخر ما يبدو

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص115.

[2] انظر ابن عربي، عنقا مغرب، ص 40، الفتوحات المكية، 119/1، 226/2-227، علي شود كيفيتش، الولاية والنبوة، ص98.

[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 52.

[4] تميم بن المعز، الديوان، ص100.

[5] المصدر نفسه، ص136.

[6] المصدر نفسه، ص105.

[7] ظافر الحداد، الديوان، ص259.

[8] المصدر نفسه، ص116.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ولعلّ هذا التجلّي للنور الإلهي في الكون أو العالم بأسره جعل الإمام القائم مقام الله فيه "القطب الذي تدور عليه أفلاكُ الوجود من أوله إلى آخره"[1]، ومن هنا كثرت المعاني المعبّرة عن ذلك في شعر عمارة اليمني، ومن ذلك قوله يمدح العاضد[2]:

فإنّما الدينُ والدنيا وأهلهما رحى وأنتَ إنْ دراتْ لها القطبُ

ولا يخفى بما في صورة الرحى والقطب من معنى دال على أنه مركز الكون والحياة والدين، فلا تستقيم إلا به، وهذه الصورة وإن كان مصدرها الحضارة إلا أنها تعبّر عن حقيقة الإمام في الوجود، ودوره فيه.

وكرّر الشعراء الحديث عن خضوع الوجود للإمام، وأنّ كلّ ما فيه غدا طالباً قربه، وطوع أمره، ومستبشراً بوجوده، وتجلّى ذلك في قول عمارة اليمني يمدح العاضد[3]:

شَرُفَتْ بك الأيامُ حينَ مَلَكْتَها فجميعُ أوقاتِ الزّمانِ عبيدُ

وأضحتْ الأماكن التي حلّ فيها تعمّها القداسة والنور كما يبدو في قوله يمدحه[4]:

ولا بَرِحتْ تلكَ المغاني غنيّةً مقدّسةَ الأنوارِ مُشرِقةَ القَطْرِ

واستحضر الخطاب الشعري الإسماعيلي أفلاك السماء للتعبير عن الإمام ونوره، هذا النور الذي هو في الأساس مصدر كل الأنوار ومنها هذه الأفلاك[5]، وقد عبّر الشعر عن هذه الفكرة كما يبدو في قول تميم بن المعز يمدح الإمام العزيز بالله[6]:

لولاك لم تحسُن الدنيا لساكنها طيباً ولا أشرقت شمس ولا قمرُ

ويؤكد المعنى ذاته في قوله يمدح العزيز[7]:

ويذكُرُ قلبي حسنَ وجْهِكَ إن رأى شبيهَكَ في إشراقِكَ والشمس والقمرا

وقد كثر في الشعر المذهبي قرن الإمام بنور الشمس أو القمر والكواكب الأخرى، فهما متساويان في ذلك، وهذا في المنطق الفكري لديهم حقيقة، ذلك أنّ نورها فرع عن أصل، فهو والإمام واحد، ولكن نور الإمام دائما في المقدمة، إذا غابت الكواكب فهو حاضر، بل تسعى هذه الكواكب لأن تصل إلى مستواه وتداني نوره، وهو ما يبدو قول ظافر الحداد[8]:

كأنّكَ الشمسُ لا تخفى محاسِنُها عن حاضرٍ من جميع الناسِ أو بادِ

ويؤكد هذه الحقيقة إذ جعل نور الشمس انعكاساً لنور الإمام الحافظ لدين الله، فقال[9]:

فالملكُ كالفُلكِ المضيءِ بشمسِهِ والشمسُ أنتَ وضوؤه من فِعلِها

---

(1) الجيلي، الإنسان الكامل، 46/1.

(2) عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 34، وانظر 52، 225.

(3) عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 225.

(4) المصدر نفسه، ورقة 185.

(5) انظر النعمان المغربي، أساس التأويل، 43/1، 44، محمد المرون، شموس الأنوار، ص37، رائد عبد الرحيم، نظرية الإنسان الكامل، ص94.

(6) تميم بن المعز، الديوان، ص147.

(7) تميم بن المعز، الديوان، ص149.

(8) ظافر الحداد، الديوان، ص112.

(9) المصدر نفسه، ص262.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

بل نوره أكثر سطوعا من الشمس والقمر وكواكب السماء، كما يبدو في قول عمارة اليمني في العاضد[1]:

ألستَ ترى ما أحسنَ التاجَ دائراً على طلعةٍ أبهى من الشمسِ والبدرِ

ولهذا إذا غاب البدر أو الشمس، فنور الإمام دائم لا يغيب، كما يبدو في قول عمارة اليمني[2]:

يمحو المُحاقُ البدرَ عندَ تمامِهِ وتزالُ طول العُمرِ بَدْرَ تمامِ

وإذا ما بدا نور الإمام فإن نور الكواكب الأخرى تغيب وتنكسف كما يبدو في قول تميم يمدح أخاه العزيز[3]:

يا مَنْ حوى الفَضْلَ وحازَ الفخرا وكَسَفَ الشّمسَ وفاقَ البَدْرا

ويصوّر ظافر الحداد نجوم السماء تتمنى أن تكون خدماً للإمام الحافظ لدين الله، فقال معبراً عن ذلك[4]:

ودّ النجومُ على معاليها بأنْ تَضْحى لأخفضِ رِجْلِهِ جيرانا

- **نور الإمام أصل الشّرع والدّين وعلومه**

إنّ النور المحمّدي هو أصل الشرع والدين، وهو المظهر الكلي له، فالأحكام والفرائض والسنن والتشريع والمواسم الدينية والرموز المكانية هي مظاهر لهذا النور الذي تجلّى في الإمام، وهي فرع هو أصلها، وهي مَثَلٌ هو ممثولها، أو رمز وهو مرموزها، وحيثما وجدت في الخطاب الإسماعيلي، فإنها تشير إليه. فالمظاهر المختلفة لدور الإمام الواردة في القرآن الكريم، وأعني الرسول والمبشر والشاهد والنذير والداعية والسراج وغيرها ممّا له علاقة بها هي مَثَل لممثول هو الإمام، وأوجه الشرع والدين المختلفة من صلاة وزكاة وحج وصوم ومواسم دينية ومناسبات وأماكن ظواهر تعني في باطنها الإمام لأنّها تجليات للنور الإلهي المتجسد فيه، أو على حد تعبير الكرماني "الكل واحد"، في إشارة منه إلى المظاهر الدينية السابقة[5].

لقد ربط الشعر المذهبيّ الهدى والشرع والتوحيد بنور الإمام، فعبّر باستفاضة عن أنّه مصدر التشريع، وأن من رأى وجهه وجبينه يرى أنوار الهدى تسطع فيه، فهذا عمارة اليمني يصّوّر نور الهدى يتلألأ من وجه الإمام العاضد وهو يؤدي عباداته، فقال[6]:

قابلتَ محرابَ الصلاةِ وللهُدى قَبَسٌ على قَسَماتِ وجهِكَ بادِ

ويصرّح عمارة اليمني في قصيدة أخرى أنّ هذا النور مصدر التوحيد والدين، وبه اجتمع شمل الهدى، وأمِنَ من الضّياع كما يبدو في قوله[7]:

بصفاتِ مجْدِكَ يُشرقُ التّمْجيدُ وبنورِ وجْهِكَ يُشرقُ التوحيدُ

أمِنَ الهُدى أنْ يُستضامَ وشَمْلُهُ بالعاضـدِ بن محمّدٍ معضودُ

ومن هذا النور يهتدي الضالون، فيعودون إلى الطريق القويم، ويتجلّى ذلك في قوله يمدح العاضد[8]:

---

[1] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 7.

[2] المصدر نفسه، ورقة 46.

[3] تميم بن المعز ، الديوان، ص184.

[4] ظافر الحداد، الديوان، ص326.

[5] انظر الكرماني، راحة العقل، ص274، وانظر الشيرازي، المجالس المؤيدية، ص21.

[6] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة243.

[7] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 225، مختار ديوانه، ص198.

[8] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 242.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وتنيرُ تحتَ التّاجِ غرَّتُك التي تجلو صدى المُرتابِ للمُرتادِ

ويطلق تميم بن المعز مصطلح سراج الحق على الإمام، فهو الذي ينير حياة الناس هدى في إشارة إلى جانبه النوراني، كما يبدو في قوله[1]:

فأنتَ سراجُ الحقّ في كلِّ شبهة وغَوثُ الورى واليسر في أثر العسرِ

وتتضح فكرة الهدى والنور الذي عمّ الناس بفضل الإمام، وانصلحت به أمور الدنيا بعد اعوجاجها في قوله تميم يمدح العزيز بالله:

فأنتَ المُعلّى المستضاءُ بنورِهِ وأنتَ المُفدّى المُستطابُ المُحبّبُ

بكَ انْصَلَحتْ أيامُنا بعدَ جَوْرِها وذلّ الزّمانُ الجـامحُ المُتقلّـِبُ

ويجسد ظافر الحداد هذا الأصل الفكري، فيبيّن أنّ نور الإمام هو الذي ينقذ الناس من الضلال والخوف، كما يبدو في قوله يمدح الآمر[2]:

وأشرقَ نورُ وَجْهِكَ عندَ خوفٍ بهيمٍ مثل خافيةِ الغُدافِ

وقد ضمنَ هذا النور للإمامة وجودها واستمرارها، ولذا يصعب على عدّوها أن يطفئ جذوتها أو يخمد هذه الأنوار، يقول عمارة مادحاً العاضد، ومعبّراً عن ذلك[3]:

أفَتُخْمِدُ الأعداءُ جَذْوَة دعوةٍ قُدِحَتْ بأنوارِ الهُدى نيرانُها

ولا يخفى ما في الأشعار السابقة وغيرها[4] من إلحاح على فكرة النور الذي يمثّل الشرع والدين، ويمثله في عالم الناسوت الإمامُ. وقد تعدّدت مظاهر هذا النور في الخطاب الإسماعيلي، ففيه الأسرار الإلهية التي انتقلت للأئمة عن طريق الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، ثم وصيه علي، رضي الله عنه، وجعلته قادراً على أن يحمل صفات الرسول والداعية والشاهد والبشير والنذير والسراج المنير، فلا أحد يملك الكلام في الدين والشرائع وتفسير القرآن ظاهره وباطنه غيره، وهذا ما جعله المصدر الأوحد لذلك كلّه في زمانه، وفي كلّ زمان، ولا يجوز قياس أو اجتهاد طالما هو قائم في زمانه، وقد عبّر عمارة اليمني عن ذلك، وبيّن أنّ تأويل آيات القرآن هو من اختصاص الأئمة ووظيفتهم عبر الزمان، قد ورثوا سرّها، وأن من يتحدث فيها غيرهم لا يعدوا أن يكون مدّعياً، يقول[5]:

كمْ آيـةٍ رُويـتْ لكـمْ أسرارُها آلَ الوصـيّ وللورى إعلانُهـا

دَرَجَ الزّمانُ وعندكـمْ أسرارُهـا فيما تَرَوْنَ وعندكـمْ إيمانُها

فكأنّمـا تأويلُكـمْ أرْواحُهـا وكأنّمـا تفسيرُكـمْ أبدانُهـا

كَثُـرَتْ عليها المُدّعونَ وما لهمْ فيهـا إمامَتُكـمْ ولا قُرْبانُهـا

ويبيّن في قصيدة أخرى أن الإمام العاضد قد ورث هذه الأسرار الإلهية في التأويل عمّن قبله من آل بيته، الذين أعزّ الله بهم عباده وخلقه، يقول[6]:

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص205.

[2] ظافر الحداد، الديوان، ص219.

[3] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص369.

[4] لمزيد من الأمثلة انظر عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 421.

[5] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص368.

[6] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 212.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وعندَكَ سُرُّ الوَحْيِ في السّورِ التي لهنَّ ظُهورٌ أُحْكِمَتْ وبُطـونُ
وأنتَ الذي أحْرِزْتَ ميراثَ عُصبةٍ يُعزُّ بهـا اللهُ الـورى ويُهينُ

ولا يبتعد تميم بن المعز عن هذا الأصل الفكري، إذ بيّن أن الإمام العزيز هو القادر على تفسير القرآن الكريم وتأويله، ولذا فعلمه لا يؤخذ إلا من نوره كما يبدو في قوله يمدحه[1]:

وإنّك للسّيف الذي اللهُ ضاربٌ به، والهدى المَدْروسِ مِنْ نُوره الذكرُ

ولهذا كان الإمام مصدر التشريع، وكنز الهدى كما يبدو في قوله عمارة[2]:

جَلَتِ الخلافةُ منْكَ فوقَ سريرِها كنزَ الهُدى وذخيرةَ الإسلامِ

وبرزت في الشعر المذهبي فكرة علم الإمام بالغيب التي هي جزء من الأسرار النبوية للأئمة، صحيح هي سمة يختص بها الإله، جلّ وعلا، ولكنّ الأئمة لا يعلمون منه إلا ما أسرّه إليهم الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلم، وتناقلوه واحداً عن آخر، وبرز ذلك بجلاء إذ مدح تميم أخاه العزيز بالله، فقال[3]:

وأنّ جميعَ الغيبِ لله وَحدَه تباركَ منْ ربّ ومنْ صَمَد وَتْرِ
وما علمتْ منه الأئمة إنما رَووهُ عن المختارِ جدِّهم الطُّهْرِ

ويبيّن تميم أنّ هذا العلم إنّما يوحيه الله لإمامه وخليفته المعز وهو في المنام، وكيف لا وهو وارث الأنبياء حتى في رؤياهم، يقول[4]:

أنبأكَ اللهُ في المنامِ بما تُبْصرْهُ مقلتاكَ في السَّهَرِ

ويزخر الشعر المذهبي بالحديث عن الأماكن المقدسة والمواسم الدّينية التي هي رمز للإمام، فعدّوا المكان الذي يقيم يه كعبة أو حرماً، يتعبد فيه العابدون، ولربما جعلوه أعلى مقاماً من البيت الحرام، لأنه لولاه لما عرفت قداسة هذه الاماكن أو المواسم، ولا عرفت حرمتها، وهذا ما يتجلى في قول عمارة يمدح العاضد[5]:

هُمُ شَرّفوا البيتَ الحرامَ فَقُدّستْ مشاعرُ منها أبطحٌ وحُجُونُ

وهذه المعاني التي يطرحها الشاعر عمارة تتفّق مع التأويل الباطني للإسماعيليين الخاص بتلك المشاعر، يقول في مديح العاضد حاثاً الناس على التوجه إلى حرمه، وممارسة طقوس العبادة لديه، لينالوا الأجر والثواب[6]:

فألقِ عصا الإقامةِ في مقامٍ كرامتُهُ تزيدُ على المقـامِ
ترى الجبَهاتِ والأقدامَ فيه تُفَضَّلُ بالسّجـودِ وبالقيـامِ
ولولا الحظُّ من أجرٍ وفخـرٍ لما رَغُمَتْ أُنوفٌ بالرّغامِ
وسلّم بالسّجـودِ على إمـامٍ يَجلّ على التّحيّـةِ والسّـلامِ
وقبّلْ تُـرْبَ ساحَتِهِ فمنْها عَرَفنا حُرْمَةَ البيتِ الحَرامِ

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص78.
[2] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص343.
[3] تميم بن المعز، الديوان، ص145.
[4] المصدر نفسه، ص151.
[5] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 213.
[6] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص341-342.

ويعبّر ظافر الحداد عن شوق الأماكن المقدسة في الحجاز لزيارة أصلها الإمام، فبدل أن يقدسها هي التي تسعى إلى تقديسه، كما يبدو في قوله بالغ الدلالة على هذا الأصل الفكري[1]:

حتّى لقدْ ودَّ الحجازُ تشـوّقاً لو زارهُ برسومِهِ وطلولِـهِ
فيرى لِوَجْهِكَ ما رأى من حقّهمْ فيما مضى بجمالِهِ وجميلِـهِ
وليُمسك البيتَ الحرامَ وحِجرُهُ ومقامُـهُ وحطيمُهُ بذيولِـهِ
ويُبادرُ الحجرُ العظيمُ وما لَـهُ غير استـلامِ يديهِ أو تقبيلِـهِ
وتقولُ مكّـةُ عندَ ذاكَ وطيبـةٌ هذا ابنُ حيدَرَةَ الرضا وبتولِهِ

وتتجلى مثل هذه المعاني في شعر تميم بن المعز في مواضع كثيرة من شعره، ومنها قوله في مديح العزيز، معبراً عن العلاقة بين الإمام والأماكن المقدسة[2]:

ويا ابنَ المَشَاعِرِ والمَروَتَينِ ويا ابنَ الحَطِيمِ ويا بنَ الصَّفا

ويبيّن عمارة في قصيدة أخرى أن مقام الإمام هو مقام العبادة لما يمثله من شرع وهدى وأماكن مقدسة، إذ قال داعيّاً الناس إلى الولوج إلى أبواب العاضد، وإلى التسابق للسجود له، فيقول[3]:

زاحمْ لعلّكَ أن تفـوزَ بنظـرةٍ منـهُ فتُحـرز أوفرَ الأقسامِ
واجعل سلامَك بالسجـود فإنه ليجلَّ قَدْراً عن خطابِ سلامِ

وفي قصيدة أخرى مدح بها العاضد يبيّن أنه الذي عرفت من خلاله حدود الله ومحارمه، ويصوّر مقامه ووفود الناس إليه بالبيت الحرام وقد أحاط به العابدون، وهو وصف يعبّر عن حقيقة الإمام في الخطاب الإسماعيلي، يقول[4]:

يا عاضداً دينَ الإلـهِ وقائمـاً لولاهُ ما عُرِفَتْ إقامـةُ حـدّهِ
شبّهْتُ قَصْرَكَ والخلائقُ عندهُ تعفو على حـرِّ الجبينِ وخدّهِ
بالبيتِ والرّكنِ المُخلّقِ رُكنُهُ والوافدينَ إلى نـداكَ بِوَفْدِهِ

ومن هنا لا تكتمل صلاة امرئ إلا بذكر الإمام وآل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، كما يبدو في قول ظافر الحداد يمدح الآمر[5]:

وللصلاةِ كمالٌ وهوَ ذِكرُكُمُ خلالَها عندَ إصدارٍ وإيرادِ

ويكثر الشّعر المذهبي من التعبير عن أن المواسم الدينية وأيام الله فرع عن الإمام ونوره، وقد أكثروا من تصوير الأعياد ورمضان وغيرها، فهذا ظافر الحداد يصرّح بأن العيد هو ذاته الإمام باق نوره لا يزول، والأعياد الأخرى ذاهبة، فقال في مديح الإمام الآمر[6]:

فالعيدُ أنتَ ومهما دُمتَ في دَعَةٍ فكلُّ عيدٍ لدينا رائحُ غادِ

---

[1] ظافر الحداد، الديوان، ص257.
[2] تميم بن المعز، الديوان، ص12.
[3] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 47.
[4] المصدر نفسه، ورقة 276.
[5] ظافر الحداد، الديوان، ص112.
[6] المصدر نفسه، ص114.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ويبدو المعنى ذاته في قول تميم يمدح الإمام العزيز بالله[1]:

للعيدِ من كلِّ عامٍ يومٌ يُعيدُ سناهُ
وأنتَ في كلِّ يومٍ عيدٌ يلوحُ علاهُ
ونعمـةٌ وسعودٌ للمعتفينَ وجاهُ

ولذا يأتي كلّ سنة يزوره، ويصرّح بقداسة مقامه الذي جعل الناس يرتادونه طلباً للفضل والهدى والعلم، كما يبدو في قوله يمدح العاضد[2]:

تَهْنَى أميرَ المؤمنينَ مواسمٌ أوقاتُهـنّ إلى اللّقـاء صَـوادِ
ما العيدُ إلاّ أنْ تَراكَ نواظـرٌ لولاكَ ما اكتَحَلَـتْ بطيبِ رُقادِ
وتزورَ مَجْلِسِكَ المقدَّسَ بالهَنا أُمَـمٌ تُراوِحُ لَثْمَهُ وتُفـادِ

ومن هنا كثر التعبير عن فصاحة الإمام، وبلاغة خطابه، وقوّة تأثيره في المتلقين، وعن تقواه، وكان هو في ذلك كلّه صاحب السبق، لا أحد يضاهيه أو يدانيه في ذلك[3]. وأكثر من التعبير عن أنّ وجود الإمام كان ضمانة لاستقامة الأرض، وحفظ دينها وشرعها وناموسها، ونشر العدالة فيها، ولهذا كان طوع أمرهم، ومحل قيادهم، ورهن إشارتهم. والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها قول عمارة يمدح العاضد[4]:

عمّتْ رعايتُكَ الرّعايا فاستوى في قَسْطِ عَدْلِكَ مُشْرِكٌ ومُوَحَدُ
وجَمَعْتَ شملَ المسلمين ببيعَـةٍ حَفِظْتْ نظامَ الدينِ وهو مبدّدُ

وتتجلى المعاني السابقة في قول عمارة في العاضد إذ بيّن أن الزمان به قد استقرّت لياليه بعد اضطرابها[5]:

عمّتْ رعايتُـهُ أقصى رعيّتـهِ حتى استوى نازحٌ منهُ ومُقترِبُ
قرّتْ عيونُ الليالي من خلافَتِـهِ فمنْ أقرّ حشاها وهيَ تضطربُ

- **طاعـة الإمام**

إنّ طاعة الإمام ووجوب الانقياد له ولمنهجه نتيجة لما حظي به من مكانة تربطه بعالم الله، ومن هنا جعلوا الإيمان به أصلاً من أصول الدين بل فرضاً لا يُقبل عمل مسلم إن لم يعتقد بإمامته وجوباً، وهذا ما عبّر عنه عمارة اليمني إذ رثى الدولة الفاطمية، وكشف عن إيمانه المطلق بالإمامة، وبيّن أنهم باب مفتاح النجاة من الضلال والعذاب دنيا وآخرة، فقال[6]:

أئمتي وهداتي والذخيرةُ لـي وإذا ارْتَهَنْتُ بما قَدّمـتُ من عَمَلِ
بابُ النّجاةِ فَهُمْ دنيا وآخـرةٌ وحبُّهـمْ فهوَ **أصـلُ الدّينِ والعملِ**

---

[1] تميم بن المعز، الديوان، ص24.
[2] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 242.
[3] انظر تميم بن المعز، الديوان، 112، 179، عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص198، 306،
[4] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 122.
[5] المصدر نفسه، ورقة 34.
[6] الصفدي، الوافي بالوفيات، 17/369-370.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وهذه الطّاعة ليستْ اختياراً على المسلمين بل فرض عليهم، وبحبه يفوز الإنسان بالنعيم والجنّة، وعكس ذلك يجعله تحت غضب الله وعذابه، وقدّ أكثر عمارة من التعبير عن هذه المعاني في مدائحه الأئمة الفاطميين، ومن ذلك قوله يمدح الفائز بالله[1]:

ولاؤكَ مفروضٌ على كلِّ مُسلِمٍ وحُبُّكَ مفروطٌ وأفْضلُ مغنَـمِ

وإذا المرءُ لم يُكْرِمْ بِحُبّكَ نَفْسَـهُ غدا وهْوَ عندَ اللهِ غيرَ مُكَـرَّمِ

وتتجلى هذه الفكرة في شعر آخر لتميم إذ بيّن وجوب هذه المحبة، وأنها فرض من الله على عباده، فقال يمدح العزيز[2]:

محبّتُهُ حتمٌ على كلِّ مسلمٍ وطاعَتُهُ فرضٌ من اللهِ موجَبِ

وعبّر ظافر الحداد عن هذا الأصل الفكري إذ عدّ طاعة الإمام الحافظ لدين الله فرضاً، لا يدانيها طاعة غيره، يقول[3]:

الفرضُ طاعتُكمْ وطاعةُ غيرِكمْ تَبَعٌ لها بضرورةٍ من أجلِها

ومن هنا فإن الأجر والثواب لا يكونان إلا بهذه الطاعة كما يبدو في قول عمارة يمدح العاضد[4]:

ما الأجرُ والفَخْرُ إلاّ في محبّتِهمْ فلا يتمُّ عليكَ الزُّورُ والكَذِبُ

ويتجلّى هذا المعنى في شعر آخر مدح فيه العاضد، فقال[5]:

ومنْ شَرَفِ الإخلاصِ أنّ وليَّهُ يؤوبُ إلى طُوبى وحسنِ مآبِ

ويبين ظافر الحداد أنّ طاعة الإمام استمساك بالعروة الوثقى التي تؤول بصاحبها إلى الفوز بالجنة، فقال في مديح الآمر بالله[6]:

يا عُروةً فازتِ المستمسكون بها أنتَ الشفيعُ وأنتَ المُرشدُ الهادي

وطاعته، كما يصوّرها تميم بن المعز، من طاعة الله، وطريق إلى رضاه، ومن عصاه، نال غضب الله، وعصاه، يقول في مديح أخيه العزيز بالله[7]:

فمَنْ يُطْعه يَفُزْ بِطاعته ومن عَصاه فَقَدْ عصى الله

ومن يعرض عن طاعته، ويكنّ له البغض والعداء للإمام، فإن مصيره النار، ويحرم من الشرب من حوض المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم، يوم القيامة، وهذا ما بينه عمارة إذ رثى الفاطميين، وعرّض بصلاح الدين الأيوبي الذي أزال دولتهم، فقال[8]:

واللهِ لا فازَ يومَ الحَشرِ مُبغِضُكُمْ ولا نجا من عذابِ الله غيرُ ولي

---

[1] عمارة اليمني، مختار ديوانه، ص339، الديوان المخطوط، ورقة 245.

[2] تميم بن المعز، الديوان، ص43.

[3] ظافر الحداد، الديوان، ص264.

[4] عمارة اليمني، الديوان المخطوط، ورقة 35.

[5] المصدر نفسه، ورقة 420.

[6] ظافر الحداد، الديوان، ص112.

[7] تميم بن المعز، الديوان، ص157.

[8] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 201/22، الصفدي، الوافي بالوفيات، 369/17.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ولا سقي الماءَ من حرٍّ ومن ظمأ منْ كفِّ خيرِ البرايا خاتمِ الرُّسلِ

ومن أعرض عن طاعته كانت حياته ضنكى، وعاش في ضلال، كما يبدو في قول ظافر الحداد في مديح الآمر:

أطاعتْهُ أسرارُ القلوبِ ديانةً فما لامرئ لم يعتقد حبَّهُ رُشدُ

نتائج البحث

بعد دراسة الخطاب الإسماعيلي في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي وظافر الحدّاد وعمارة اليمنيّ، يمكن تسجيل النتائج الآتية:

- لقد برز الخطاب الإسماعيلي بجلاء في شعر هؤلاء الشعراء، وكانوا واعين به وهم ينتجون أشعارهم، ويمدحون خلفاء الدولة الفاطمية، ويتقرّبون إليهم، فكانوا جزءا من الأداة الإعلاميّة لهؤلاء في بثّ صورتهم، والترويج لأحقيتهم بالخلافة.
- تبيّن أنّ هؤلاء الشعراء صدروا من معين واحد، وهو الخطاب الإسماعيلي، فجاءت معانيهم متشابهة، وأفكارهم تكاد تكون موحدة، وأنّ الإمام الفاطمي هو محور هذا الخطاب الشعري لديهم.
- إن المعاني التي قدّمها الخطاب الشعري عند هؤلاء الشعراء تركّز على علاقة الإمام بالله، وربطه بين عالمي اللاهوت والناسوت.
- بدت فكرة النور المحمّدي، التي هي لبّ العقيدة الإسماعيلية، محور الخطاب الذي جسده هؤلاء الشعراء، فجعلوه سبباً في أحقية الخلفاء الفاطميين بالإمامة، ذلك أنّهم ورثوه عمّن قبلهم من الأنبياء، وعن الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، الذي تجسد فيه النور كاملاً، ثم سرى في الوصيّ نصّاً، فأولاده من فاطمة، ومنهم الخلفاء الفاطميين حتى وصل إلى آخر إمام، فتجلّى كاملاً فيه. ولهذا كانت صورة الإمام الفاطمي من صورة هذا النور الذي خلق قبل الوجود، وتنقّل في الأصلاب، ثمّ تجلّى أخيراً في أئمتهم فحازوا صفات الكمال، واستحقوا لقب الإمام، وصاحب الزمان، وإمام العصر. يبيّن الشعراء أنّ هذا النور سيظلّ ماثلاً في نسل عليّ وفاطمة، رضي الله عنهما، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
- جعل هؤلاء الشعراء نور الإمام من نور الله، لا ينفصل عنه، تجسّد فيه، فربط بين عالمي الأرض والسماء، وأضحى سرّ الله في الأرض، وصفوته، وعروته، وحجته على الناس، وحبله بينهم، وواسطته لهم، بل صوّره كتلة نورانيّة في جسد ترابيّ، يشعّ منها النور للرّائين، وتهدي الناس إلى صراط مستقيم، ومن هنا حاز الإمام في خطابهم صفة الكمال، والتأييد الإلهيّ، بل حاز الصفات الإلهية، فأضحى الرازق الغافر، صاحب العفو، على حدّ تعبيرهم، وإيمانهم.
- بيّن الشعراء أنّ نور الإمام هو أصل الكون والطبيعة، منه خلقت، فكان هو الأصل، وهي تعيينات، وهو الكل، وهي فروع منه، وهو القطب، وهي تدور حوله، أشرقت الدنيا بنوره، وخضعت له، واكتسبت القداسة بوجوده، لولاه لما أضاءت أفلاك السّماء، ولا عمّ نورها الدنيا، ومن هنا بدا نوره متفوقاً عليها، تتكسف بوجوده، تتمنّى الوصول إليه، لأنّه دائم لا يزول، في حين أنها تزول، فإذا غاب نورها ظلّ

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

نوره حاضراً. ولا شكّ أن الشعراء عبّروا بذلك عن قناعتهم الفكريّة، فكان حديثهم على سبيل الحقيقة الذي لا مجاز فيه.

- تبيّن من شعر هؤلاء الشعراء أنّ نور الإمام هو أصل الشرع والدين، تجلّت فيه تفصيلاته المختلفة: الشعائر والعبادات والمواسم والأماكن الدينيةّ، فهي مَثَلٌ وهو ممثولها، أو رمزٌ وهو مرموز إليه فيها، وبتعبير آخر هي فروع، وهو أصل، أو جزء، وهو الكلّ، فالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والكعبة، ومِنى، والصفا والمروة، والبيت الحرام، ورمضان والأعياد... وغيرها كلّها تمثّل الإمام، وتعيينات دالة عليه، ومن هنا كثرت في أشعارهم الصفات المعبرة عن هذه الفكرة، فكان الإمام أصل الدين، وسراج الحق، والبشير، والهادي الذي يشعّ النور من وجهه، وكنز الهدى، والشفيع، وصاحب التأويل، والعالم بالغيب، ووارث الأسرار الإلهية، لا يؤخذ الدين إلا عنه، ولا يستقر وجود إلا به، مقامه مقام هدى وعبادة وتقديس.
- تبينّ من أشعارهم أنّ هذه الصفات النورانيّة التي حملها الإمام أوجبتْ طاعته، ومحبّته، والانقياد له، وجعلوا طاعته من طاعة الله، من التزم بها دخل الجنّة، ومن حاد عنها كان مصيره نار جهنّم.
- ومن النتائج المهمّة أنّ خطابهم الشعري، وصورة الإمام فيه حقيقة لا مجاز فيه.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- بكر، هينرش، (د.ت)، تراث الأوائل في الشرق والغرب، دراسة ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، ألّف بينها وترجمها: عبد الرحمن بدوي، د. ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة.
- تميم، أبو علي بن المعز بن المنصور (ت374هـ)، (1377هـ-1957م)، ديوان تميم بن المعز، د. ط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
- جعفر بن منصور اليمن (ت380هـ)، (د. ت)، سرائر وأسرار النّطقاء، تحقيق وتقديم: مصطفى غالب، د. ط، دار الأندلس، بيروت، لبنان.
- الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم (ت805هـ)، (1418هـ/1997م)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، حقّق نصوصه وعلّق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- حجازي، عبد الرحمن، (1425هـ-2005م)، الخطاب السياسي في الشعر الفاطميّ دراسة أسلوبيّة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة.
- حسين، محمد كامل، (1963م)، في أدب مصر الفاطمية، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الحكيم، سعاد، (1414هـ/1994م)، عودة الواصل: دراسات حول الإنسان الصوفي، ط1، مؤسسة دندرة، القاهرة- مصر.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

- الدوسري، عائض بن سعد، (1428هـ-2007م)، الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ط1، المكتب الإسلامي.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، (1410هـ-1990م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء الثاني عشر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ذو النون المصري، عمارة اليمني، (1386هـ-1966م)، د. ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي (ت654هـ)، (1434هـ-2013م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، الجزء الثاني والعشرون، حققه: إبراهيم الزيبق، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.
- أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل الدمشقي (ت665هـ)، (1418هـ-1997م)، الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحية، حققه وعلّق عليه: إبراهيم الزِّيبق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري (ت973هـ/1566م)، (1413هـ/1993م)، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، تقديم: محمد علي الإدلبي، د. ط، دار القلم العربي، حلب- سوريا.
- الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن أبي عمران (ت470هـ)، (1376هـ-1957م)، د. ط، المجالس المؤيدية، دار الثقافة، القاهرة.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ)، (1420هـ-2000م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- طه، هدى إبراهيم، (1441هـ-2020م)، الفكر الفاطمي في شعر تميم بن المعز لدين الله، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنيّة.
- ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله الجذامي الإسكندريّ، (ت529هـ)، (د. ت)، ديوان ظافر الحداد، تحقيق: حسين نصّار، د. ط، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر.
- عبدان، (1402هـ-1983م)، كتاب شجرة اليقين، تحقيق: عارف تامر، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- عبد الرحيم، رائد مصطفى، (1441هـ-2020م)، نظرية الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمّديّة في الخطاب الصوفي وأثرها في شعر المديح النبويّ في العصر المملوكيّ، 2020م، دار الشامل، نابلس، فلسطين.
- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت638هـ)، (1428هـ/2007م)، تنبيهات على علوّ الحقيقة المحمدية، ويليه روح القدس في محاسن النفس، ضبطها وصححها وعلّق عليها: عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقادي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت638هـ)، (1419هـ/1998م)، رسائل ابن عربي: شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، دراسة وتحقيق: قاسم محمد عبّاس، وحسن محمد عجيل، د. ط، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة.
- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت638هـ)، (1272هـ/1855م)، الفتوحات المكية، د. ط، دار الكتب العلمية، القاهرة– مصر.
- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت638هـ)، (1365هـ/1946م)، فصوص الحكم، تحقيق: أبو العلا عفيفي، د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة– مصر.
- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت638هـ)، (1428هـ/2007م)، كتاب إنشاء الدوائر، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة– مصر.
- علي شودكيفيتش، (1418هـ–1998م)، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، ترجمه عن الفرنسية: أحمد الطيّب، ط1، دار القبة الزرقاء، مراكش، المغرب.
- عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد الحمي اليمني (ت569هـ)، ديوان عمارة اليمني، مخطوط على الشبكة العنكبوتية ضمن موقع مكتبة نور الإلكترونية، رقم المخطوط 35453.
- عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد الحمي اليمني (ت569هـ)، (1413هـ–1897م)، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ويحتوي على مختارات من ديوان عمارة اليمني، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنُبرغ، د. ط، مطبعة مَرْسَوْ، شالون، فرنسا.
- الغزالي، أبو حامد محمد الطوسي (ت505هـ)، (د. ت)، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، د. ط، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- الكاشاني، عبد الرزاق المتوفى (730هـ) تقريبا، اصطلاحات صوفية، (1413هـ/1992م)، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد العال شاهين، ط1، دار المنار، القاهرة– مصر.
- الكرماني، حميد الدين أحمد بن عبد الله (ت412هـ)، (1376هـ–1967م)، راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، د. ط، دار الأندلس، بيروت.
- الكرماني، حميد الدين أحمد بن عبد الله (ت412هـ)، (1416هـ/1996م)، المصابيح في إثبات الإمامة، تحقيق: مصطفى غالب، ط1، دار المنتظر، بيروت– لبنان.
- المرون، محمد، (1416هـ/1996م)، شموس الأنوار ومعادن الأسرار على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش، نسخ هذا الكتاب: محمد بن محمد المهدي التلمساني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- المستغانمي، محمد بن سليمان (ت1322هـ)، (1428هـ/2007م)، دساتير إلهية، تقديم وتحقيق: بومدين بوزيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- النعمان المغربي، أبو الحسين علي بن محمّد ت363هـ، أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، د. ط، دار الثقافة، بيروت.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

- النعمان المغربي، أبو الحسين علي بن محمّد (ت363هـ)، (1431هـ-2010م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران.
- النعمان المغربي، أبو الحسين علي بن محمّد (ت363هـ)، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقهي وآخرون، د. ط، دار المنتظر، بيروت- لبنان.
- النعمان المغربي، أبو الحسين علي بن محمّد (ت363هـ)، (1985م) الهمة في آداب أتباع الأئمة، (1985م)، تحقيق: مصطفى غالب، د. ط، دار مكتبة الهلال، بيروت.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن عليّ (ت845هـ)، (1416هـ-1996م)، اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد، ط2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025